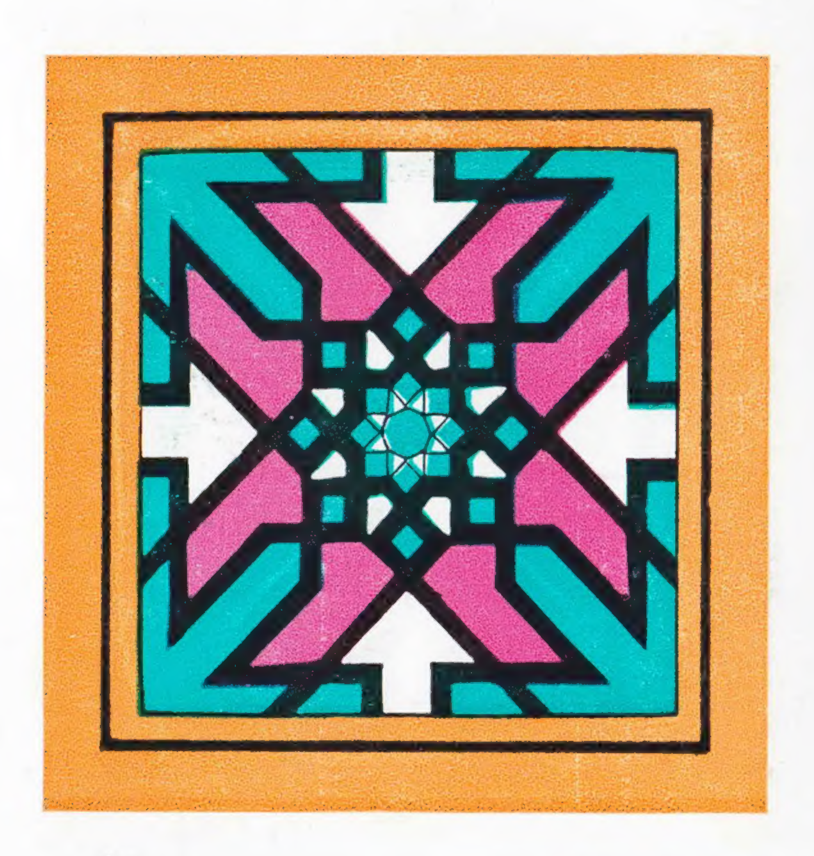
عِبَادُ اللّٰه



هَادِي المُدَرِّسِي

مُؤسَّسَة الوَفَاء
بَيروت

عبادالله

هادي المدرسي

عباد الله

مؤسسة الوفاء
بيروت - لبنان

الطبعة الأولى

١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م



مؤسسة الوفاء . بيروت . لبنان . ص.ب. ١٤٥٧ . هاتف : ٢٧٧٣٢٥

مقدمة الناشر

هـذه الكراريس الصغيـرة الحجم والقليلة الاوراق ، هي في الواقع انفع للشباب ، وخاصة الشبـاب الحديثي الايمـان ، من تلك الكتب والمجلدات الضخمـة وذات الاجزاء العديدة ، فهذه الكـراريس تمتاز اولاً : ببحثهـا للمـواضيع الاسـلامية المختلفـة باختصـار وانطلاقـاً من الاساسيات .

وثانياً : بسلاستها وبساطتها بحيث انها في الوقت الذي لا يمـل الشاب الحديث الايمان منها عند قراءتها ، تراها تلج قلبه مباشرة وبلا اي حواجز او عوائق .

من هذا المنطلق ارتأينا تقـديم هذا الكـراس للشباب المؤمن لمـا فيه من غـذاء روحي وفكري رائـع ، خاصـة وانهم اليوم بأمس الحاجة للالمام بامور دينهم ودنياهم من

اي وقت مضىٰ لكي يصمدوا امام الهجمة العنيفة التي يشنها دعاة المباديء الغربية المزيفة لحرف وازاغة قلوب الشباب عن دينهم وايمانهم ، ناهيك عن ان هذا الكراس يبحث في موضوع اساسي وهو بيان حال عباد الله الحقيقيين ، ومن ثم كيف على الانسان ان يسعىٰ وماذا عليه ان يفعل ليستحق بصدق لقب (عبد الله) كما يصفهم القرآن الكريم والحديث الشريف .

١٢ / جمادي الثاني /١٤٠٥ — مؤسسة الوفاء

١٤ / آذار / ١٩٨٥ — بيروت ـ لبنان

بسم الله الرحمن الرحيم

الحَمْدُ لِلّهِ رَبِّ العَالَمِينَ

الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ

مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ

إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ

اهْدِنَا الصِّرَاطَ المُسْتَقِيمَ

صِرَاطَ الذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيهِمِ

غَيرِ المَغْضُوبِ عَلَيهِمِ

وَلاَ الضَّالِّينَ

بسم الله الرحمن الرحيم

يابن آدم . .

مازلت بخير ما كان لك

واعظ من نفسك

حديث شريف



المقـــدمة

المؤمنون ينظرون بنور الله . . .

ويتخلقون باخلاق الله . . .

نظراتهم تفكير . . .

وصمتهم تـدبـر . . وكـلامهم حكم . . ومنـطقهم الصـواب . . وعـلاقتهم مـع النـاس عـلاقـة حب واخلاص ، وتقدير وعطاء .

فالمؤمنون ليسـوا مجرد افـراد لهم افكار خـاصة ، بـل هم رجال لهم مميزات خاصة ، وسلوكهم اليـومي ترجمـة لايمانهم القلبي ، ومواقف تجسيد لمعتقداتهم للحياة . .

من هنا جاء في اوساط المؤمنين انهم : ﴿ **يمشون على الارض هونا ، واذا خاطبهم الجاهلون قـالوا سـلاما** ﴾ وانهم : ﴿ **يبيتون لربهم سجدا وقيامـا** ﴾ وانهم : ﴿ **اذا**

انفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا ﴾ وانهم : ﴿ لا يشهدون الزور ، واذا مروا باللغو مرّوا كراما ﴾ . . .

وكما يبدو من ذلك ، فان اولى مميزات المؤمنين ، تلك المواقف الاخلاقية ، والمناقبيات الرسالية ، التي يتعاملون عبرها مع الناس ، ولهذا كان : « حسن الخلق أفضل الدين » كما يقول الامام علي (عليه السلام) « وكان المؤمن لين العريكة سهل الخليقة والكافر شرس الخليقة سيء الطريقة » وكان « المؤمن لينا سهلا مؤتمنا » وحقا فان المؤمن « صدق اللسان ، بذول الاحسان » ، كما « المؤمنون خيراتهم مأمولة ، وشرورهم مأمونة » ، كما جاء في الروايات .

اذن : كم هو ضروري أن نتحدث عن « الاسلام المناقبي » و « الاسلام الاخلاقي » و « المجتمع الصالح » ، لهذا كان الكتاب الذي بين يديك ، حيث جاء شمعة في هذا الطريق ، لعل الله يهدي بنوره عباده الصالحين فيسعدوا في الدنيا والآخرة ، وهو نعم المولى ونعم النصير .

هادي المدرسي
١/٢/١٤٠٤ هـ

دعاء..



اللهم . . صلّ على محمد وآل محمد . !

وبلّغ بـايماني اكمـل الأيمـان . واجعـل يقيني افضـل اليقـين . وانتـهِ بنيّتي الى احسن النيـات . وبعمـلي الى احسن الاعمال . !

اللّهم . . سـدّدني لأن اعارض من غشني بـالنصح . وأجزي من هجرني بالبرّ . واثيب من حـرمني بالبـذل . واكـافىء من قطعني بـالصلة . واخـالف من اغتـابني الى حسن الذكر . !

اللّهم . . حلّني بحليـة الصـالحـين . والبسني زينـة المتقــين : في بسط العـدل ، وكـظم الغيظ ، واطفــاء النـائرة ، وضم اهـل الفرقـة ، واصـلاح ذات البـين ، وافشـاء العارفـة ، وسـتر العـائبـة ، ولـين العـريكـة ، وخفض الجنـاح ، وحسن السيرة ، وسكـون الـريـح ،

وطيب المخالقة ، والسبق إلى الفضيلة ، وايثار التفضل ، وترك التعيير ، والأفضال على غير المستحقْ ، والقول بالحق وان عزّ ، واستقلال الخير وان كثر من قولي وفعلي !

اللّهم . . اجعلني من اهل السداد . ومن ادلة الرّشاد . ومن صالحي العباد . !

الّلهم . . وفقني اذا اشتكلت عليّ الأمور ، لأهداها . واذا تشابهت الأعمال ، لازكاها . واذا تناقضت الملل لأرضاها .

اللّهم . . هب لي صدق الهداية . ولا تجعل عيشي كداً كداً . ولا تردّ دعائي علي رداً ، فاني لا اجعل لك ضداً ولا ادعو معك نداً . !

من دعاء مكارم الأخلاق
الامام السجّاد (عليه السلام)

غير المعروف من الاسلام

ينقسم الاسـلام ـ بالنـظرة البعيـدة إليـه ـ إلى ثـلاث مجموعات رئيسية :

آ ـ مجموعة العقائد . والأسس الفكرية .

ب ـ مجموعة الدساتير . واللوائح القانونية .

ج ـ مجموعة القواعد السلوكية .

وهـو كمجمـوعـة عقـائــد ، معـروف ـ وان لم يكن مفهـومـاً للكثيـــرين بعـدُ ـ فليس هنــاك من لا يعـرف الأصول الخمسة التي بُني عليها الاسلام :

كالتوحيد . العدل . النبوة . الامامة . المعاد .

وهو كمجموعة دساتير ، معروف أيضاً .

ولكن الذي لا يزال غـير معروف بـالمرّة من الاسـلام

هو : مجموعته السلوكية .

غير المعروف من الاسلام هو بناء الاسلام المناقبي .

كيف نتعامل مع الأسرة ؟ مع الزوجة ؟ مع الأولاد ؟

ماهي العلاقات العامة التي يجب أن تسود المجتمع ؟

كيف يجب أن نتحاور ؟ أن نجلس ؟ أن نمشي ؟

كيف نلبس ؟ ماذا نلبس ؟ كيف نبني ؟

هذه هي الأشياء التي لا يعرفها المسلمون عادةً ولذلك فهم يستوردون قواعدها من هنا وهناك .

والآخرون عرفوا نقطة الضعف هذه عندنا فروَّجوا بضائعهم عن طريقها .

الآخرون رأوا أنّنا لا نعرف كيف نمشي ؟ كيف نتعامل مع الأسرة ؟ مع الزوجة ؟ كيف نتحاور ؟ كيف نلبس ؟ كيف نبني ؟ فعلّمونا كيفية ذلك ، وبسبب جهلنا المطلق بهذه الناحية فقد « تعلّمنا » منهم شاكرين وأيادينا ملتصقة بصدورنا .

وهكذا ـ بين عشيّة وضحاها ـ تبدّلت العلاقات ، وتغيّرت العادات ، وأصبحت « الموضات » الوافدة تسير

حياتنا حسب آخر تقليعات موسكو وباريس ولندن ونيويورك .

وتدخُّل الآخرين في حياتنا السلوكية هذه شمل حتى ديكور بيوتنا ، وتصفيف شعر نسائنا ، وطريقة حمل الكتب تحت أبط تلاميذنا . .

ولأنّ « عبوديتنا » لسلوك الآخرين ، كانت عبودية عنيفة ممتدة الجذور حتى الأعماق ، فقد أصبح بإمكان مؤسسة في آخر الدنيا ، أن تتدخل في أستر جزء من حياتنا ، وتلعب فيه كما تشاء ، من دون أن تكون لنا أية سلطة عليها . .

من هنا فإنّ الغزوة الأخيرة التي تعرضنا لها تجسّدت ـ عكس الغزوات السابقة ـ في الغزو السلوكي ، ثم تعرجت على الفكر ، والعبادة ، والنظام .

فإذا كان المعتاد ـ على طول التاريخ ـ أن القوة الغازية تعمد إلى عقيدة الأمّة فتنسفها نسفاً كلياً ، ثم تغزوها في دستورها فتمزقه ، ثم تفرض عليها السيطرة السلوكية المتوخاة ، فإنّ الاستعمار استعمل معنا أسلوباً جديداً . حيث بدأ اللّف من الوراء ـ مستخدماً الآلات والأجهزة

الحديثة في ذلك ـ فبدأ بالغزو السلوكي ، ثم تدرج إلى الغزو الفكري . .

وكان في تقدّم الحضارات الماديّة ، تكنولوجياً مادة دسمة في غزوها ذلك .

هذه المرّة ، لم يقل الاستعمار لأبنائنا : اتركوا نبيكم ودينكم وإلاّ قتلناكم ـ كما فعل في الحروب الصليبية ـ .

ولا قال لهم : دينكم لا ينفعكم ، لأن اسسه الفكرية غير سليمة ـ كما فعل في المرحلة التي تلت الحروب الصليبية ـ . وإنّما جاء بخرائط جديدة للسلوك ، وموضات لذيذة للبِّس ، والبناء ، والمحاورة ، والعلاقات العامة ، وفي غياب من الأصول السلوكية الإسلامية وغياب من الوعي بها ، قبلها الأبناء ، وأدمنوها ، حتى إذا اعتادوا عليها ـ بحيث بدى من الصعب تغييرها ـ عندئذ قال لهم الاستعمار : ان هذا السلوك يخالفه رجال الدين . وان تلك الطريقة في المعاملة تتنافى مع الإيمان بالله والجن والملائكة . وان هذا اللّون من الأخلاق لا يتناسب مع الحلال والحرام والمكروه ، وما كان أمام الذين اعتادوا على ذلك اللّون المعينً من السلوك خياراً إلاّ أن يرفضوا كل من يقف في

وجهه أو يخالفه .

طبعاً لم يكن نوع من الملبس ، وديكور البيت ، وطريقة المشي ، مهماً لولا أن ذلك جاء من أجل تمتين العلاقات الجاهلية ، في غياب من العلاقات الرسالية . .

ان عبادة « الموضة » في العلاقات ، وتغييرها حسب اختلاف الرّياح ـ ان شرقية فشرقية أو غربية فغربية ـ ليست مهمة إلاّ من جهة انها تأتي كدليل على تمزق المسلمين ، سلوكياً وانهيارهم ، أخلاقياً . .

●

. . ولكي نضع أول حجر في طريق بناء مجتمع رسالي متماسك ، نقدّم هذا الكتاب الذي نرجو من الله أن يضع فيه التأثير انّه قريب مجيب الدعاء .

البحرين ـ هادي المدرّسي
٢٤/ محرم الحرام/ ١٣٩٣ هـ

المطلوب
تجمع مناقبي

عندما يرفض الواحد منّا أن يؤمن بالملائكة والجنّ والأبالسة ، أو أي شيء مماثل ، فهو يعبِّر عن رفضه لموضوع فكري بحت .

وعندما يرفض أن يلتزم بالعبادات ، كالصلاة والصوم والحج ، أو أيّ أمر عبادي آخر ، فهو يعبِّر عن رفضه لموضوع عبادي بحت .

أمّا عندما يرفض أن يلتزم بسلوك أسلامي معيّن ، كالصدق والأمانة وحسن الخلق ، وما شابه ذلك ، فانّه يعبِّر عن رفضه لموضوع فكري . وعبادي . وأخلاقي في وقت واحد . .

لماذا ؟

لأنّ الذي يرفض السلوك الإسلامي لابدّ أن يكون قد رفض مسبقاً حكمة الله الذي طالب به ، كما انه لابد أن يكون قد رفض مسبقاً الخضوع لله في ذلك .

وهكذا يرفض كل شيء : الفكر والعبادة والسلوك ، من يرفض السلوك وحده .

انّ الايمان ، والعبادة ، محتوى قبل أن يكونا إطاراً ، فالهدف من الإيمان هو الخضوع لله ، والهدف من الخضوع لله هو العمل ، والعمل هو السلوك . .

ولذلك جاء في الحديث : « الدين . المعاملة » وورد : « وهل الدين إلّا الحب ؟ » .

فالهدف من الدين ليس هو مجرد إجراء تصحيح فكري في مخ الإنسان ، وإنما هو تصحيح السلوك وبما أن ذلك غير ممكن إلا بعد تصحيح الفكر فقد استهدف الإسلام ـ أول ما استهدف ـ كنس الأفكار الباطلة من الذهنيات .

ولهذا قال الرسول الأعظم ، وهو يحدد الهدف الأخير من رسالته :

« إنما بعثت لأتمّم مكارم الأخلاق » .

أمَّا الفكر الإسلامي في أصوله العقائدية فقد كان موجوداً في رسالات الأنبياء السابقين ، بينما الذي كان يحتاج إلى الإكمال هو : البناء فوق ذلك الفكر ، أي بناء السلوك والعلاقات العامة . وربما جاء استعمال كلمة « إنما » الدالة على الحصر في الجملة السابقة ، ليكشف عن حقيقة هامة هي : ان كل المسبقات الفكرية ، وكل العبادات إنما تهدف في الواقع تهيئة الإنسان للعيش في الجنة ، والتكيف حسب حضارتها وهي مهمة سلوكية ، أكثر من أن تكون فكرية . .

ولهذا فإن القرآن يعتبر الذي لا يتقيد سلوكياً بإرشادات السماء ، فيدّع اليتيم ، ولا يحض على طعام المسكين ، يعتبره مكذِّباً بالدين فيقول :

﴿ أرأَيت الذي يُكذِّب بالدين ؟

﴿ فذلك الذي يدَّع اليتيم !

﴿ ولا يَحضُّ على طعام المسكين !

إنَّ الآيات القرآنية ، والأحاديث . تأتي شديدة التأكيد عندما تتحدث عن الفضائل النفسية والسلوك الاجتماعي ، وتعتبر ذلك نتيجة الإيمان بالله والرُّسل والرِّسالات .

فيقول القرآن الكريم :

﴿ ولا تصعِّر خدَّك للناس . ولا تمش في الأرض مرحاً . ان الله لا يُحِبُّ كل مختال فخور ﴾ .

ويقول : **﴿ وعباد الرَّحمن الذين يمشون على الأرض هونا ، وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا : سلاماً . . والذين إذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواماً . . والذين لا يشهدون الزور وإذا مرَّوا باللَّغو مرَّوا كراما . . والذين يقولون ربَّنا هب لنا من أزواجنا وذرياتنا قرة اعين واجعلنا للمتقين إماماً ، أولئك يُجزون الغرفة بما صبروا ويلَّقون فيها تحية وسلاما ﴾ .**

ويقول : **﴿ فمن كان يرجو لقاء ربِّه فليعمل عملاً صالحاً ولا يشرك بعبادة ربِّه احداً . . ﴾**

ويقول : **﴿ تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علواً في الأرض ولا فساداً ، والعاقبة للمتقين . من جاء بالحسنة فله خير منها ، ومن جاء بالسيئة فلا يجزى الذين عملوا السيئات إلا ما كانوا يعملون ﴾ .**

انَّ الإيمان ـ في نظر الإسلام ـ التزام فكري بين الإنسان وبين الله ، وهو وسيلة من أجل بناء مجتمع

القيم الذي تنبع مقاييسه جميعاً من مثله العليا .

من هنا فإنّا نجد أن مادة « آمن » لا ترد في القرآن إلا وهي مقرونة غالباً بـ « وعملوا الصالحات » وإطار « العمل الصالح » يشمل العلاقات العامة والقضايا السلوكية .

ولأن العمل الصالح نابع من الإيمان ، وهو نتيجته فقد أصبح « حسن العهد من الايمان » و « علو الهمة من الايمان » و « النظافة من الايمان » . وأصبح « التودد نصف الدين[1] » و « الصبر من الايمان كالرأس من الجسد . ولا خير في جسد لا رأس معه ، ولا في إيمان لا صبر معه[2] » .

وهكذا فإن « السلوك المناقبي » يأتي كجزء لا يتجزأ من العقيدة . من الايمان . من العبادة .

ولذلك ، فإنه لا يكفي في نظر الاسلام ان تكون عندنا عقيدة ، الأهم أن نمارس سلوك العقيدة . ولا يكفي أن نردِّد شعارات الأيمان ، الأهم أن نطبق

---

(١) راجع « كلمة الرسول الأعظم » .

(٢) راجع نهج البلاغة .

الشعـارات ونحـوِّلهـا إلى واقـع حي نعيشهـا في ممـارسـة الحيـاة . لا يكفي أن نقول ـ ونحن في الصـلاة ـ « أياك نعبـد » ونحن من أجـل المـادة نـدوس عــلى كـل القيم الانسـانية . لا يكفي أن نقـرأ القـرآن ونحن « نمشي في الأرض مـرحـاً » أو « نسـرق » أو « نقـتر » أو « نشهــد الـزور » أو « نريـد العلو والفساد في الأرض » أو « نـأتي بالسيئات » . .

ان الاســلام يــرفض بشــدة إعتبــار « الخلق » و « السلوك » قضية منفصلة عن « الايمان » و « العقيـدة » وعندما يهدف الاسلام بنـاء عقيدة في شخص مـا ، فهو لا يحاول بناء عقيدة خاوية لا زرع فيها ولا نبات ، وإنما يهدف بناء « برج » للأيمـان . . يرش النـور على طـريق العمل والسلوك .

ونجـد في السّـور المكيـة التي كـانت بــداية عمـل الرَّسول ، تأكيداً شديداً على السلوك إلى جانب تأكيدهـا على الايمان والعبادة :

﴿ ويل للمطففين !

﴿ الذين إذا اكتالوا على الناس يستوفون . وإذا كالوهم أو وزنـوهم يخسرون . ألا يـظن أولئك أنَّهم مبعـوثون

ليوم عظيم ؟[1] ﴾ .

.. ﴿ فأمّا الانسان إذا ما ابتلاه ربُّه فاكرمه ونعَّمه ، فيقول ربي اكرمنِ . وأمَّا إذا ما ابتلاه فقدر عليه رزقه ، فيقول ربي اهانَنِ . كلا بل لا تكرمون اليتيم ولا تحاضون على طعام المسكين ، وتأكلون التراث أكلاً لما وتحبون المال حباً جماً[2] ﴾ .

.. ﴿ يا أيها المدَّثر . قم فانذر . وربَّك فكبِّر . وثيابك فطهِّر . والرجز فاهجر . ولا تمنن تستكثر . ولربِّك فاصبر ﴾ .

.. ﴿ كل نفس بما كسبت رهينة . إلا أصحاب اليمين . في جنات يتساءلون . عن المجرمين . ما سلككم في سقر ؟ قالوا :
لم نك من المصلين ولم نك نطعم المسكين ، وكنا نخوض مع الخائضين[3] ﴾ .

وهكذا فإن الايمان كان يجري شحذه جنباً إلى جنب

---

(١) سورة المطففين .

(٢) سورة الفجر .

(٣) سورة المدّثر .

مع السلوك . . لأنه قضية واحدة لها جانبان : فكري هو الأيمان ، وعملي هو السلوك .

وإذا كان هنالك إيمان ، ولم تكن هنالك مناقبيته في السلوك ، فإنه لابد أن نشك في وجود الأيمان .

يقول الرسول الأعظم :

« لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه » .

ويقول : « لا يستقيم إيمان عبد حتى يستقيم قلبه . ولا يستقيم قلبه حتى يستقيم لسانه » .

ويقول : « من أصبح ولم يهتم بأمور المسلمين فليس منهم » .

ويقول : « ليس منَّا من بات شبعان وجاره جائع » .

ويقول الإمام الصادق (عليه السلام) :

« ليس منَّا من لم يوقِّر كبيراً ولم يرحم صغيراً » .

وقد يبدو « إطعام الجار » أو « توقير الكبير » أو « الترحم على الصغير » أو ما شابه ذلك أموراً بسيطة فيندهش الإنسان من ربط وجودها بوجود الإيمان ،

وعدمها بعدم الإيمان ، ولكنَّها في الواقع عظيمة وخطيرة لما تحمل من دلالة على خصوبة أو لا خصوبة الإيمان . .

إن « النتيجة العملية » هي المهدوفة من الإيمان ولذلك أصبحت علامة الإيمان مواقف الإنسان العملية وسلوكه الأخلاقي .

يقول الإمام علي (عليه السلام) :

« علامة الإيمان : أن تؤثر الصدق حيث يضرّك على الكذب حيث ينفعك ، وأن لا يكون في حديثك فضل عن عملك ، وأن تتقي الله في حديث غيرك » .

ومن هنا كان : « المسلم : من سلم المسلمون من يده ولسانه » ، بينما أصبح الذي يُرخي يده ولسانه على الآخرين غريباً عن المسلمين .

إذن : فالمسلم الحقيقي ليس هو الذي يكثر العبادة الفارغة ، لأن العبادة لا تعني شيئاً إذا كانت عاجزة عن فرض المناقبية في السلوك .

فإذا كان المسلم صادقاً في عبادته ، فلا بدَّ أن نبحث عن صدقه في عمله .

سُئل رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ـ : بم يُعرف المؤمن ؟

فأجاب ـ : بوقاره . ولين كلامه . وصدق حديثه . !

وسئل ـ : أيَّ المؤمنين أفضلهم إيماناً ؟

فأجاب ـ : أفضلهم خلقاً . !

●

ولأن المناقبية في السلوك هو الهدف من بعث الأنبياء ، فانَّها أعتبرت أثقل شيء يوضع في ميزان الإنسان . . « ما يوضع في ميزان امرء يوم القيامة أفضل من حسن الخلق » . .

لماذا ؟

« لأنّ الله استخلص هذا الدِّين لنفسه ولا يصحّ لدينكم إلا السخاء وحسن الخلق[1] .

واصبح حسن الخلق سببا من أسباب إذابة المعصية . .

« ان حسن الخلق يميت الخطيئة كما تميتُ الشمس الجليد » .

---

(١) كلمة الرسول الأعظم .

وأصبح - بالعكس - سوء الخلق مفسداً للعمل ، « كما يفسد الطين العسل » .

ومن هنا نرى أن الأئمة يعطون هويّة أتباعهم من مادة سلوكية فيقولون :

« اختبروا شيعتنا بخصلتين ، فإن كانت فيهم فهم شيعتنا ، محافظتهم على أوقات الصلاة ، ومواساتهم مع إخوانهم المؤمنين بالمال » كأن الصلاة جزء من المواساة ، وكأن المواساة جزء من الصلاة . . صديقان قديمان بهما يعرف التابع الصادق ، من المنافق المخادع . .

ومن هنا أيضاً قال الرسول الأعظم :

« عليكم بمكارم الأخلاق فإن الله عز وجل بعثني بها ، ومن مكارم الأخلاق أن يعفو الرجل عمن ظلمه ، ويعطي من حرمه ، ويصل من قطعه ، ويعود من لا يعوده » .

وهكذا يطالب الإسلام بمناقبية رسالية ، تعطي من لا يعطي ، وتعفو عمن لا يعفو ، وتصل من يقطع وتعود من لا يعود . .

وهي بذلك تختلف عن المناقبية التجارية التي تحترم

من يحترم وتعفو عمن يعفو ، وتصل من لا يقاطع ، كقضية تجارية : فيها مبادلة المثل بالمثل ، من دون أن يكون هناك البذل السّخي من أي جانب . .

●

ويقول الإمام علي (عليه السلام) :

« الإيمان والعمل أخوان توأمان ، ورفيقان لا يفترقان لا يقبل الله أحدهما الاّ بصاحبه » .

ولأجل ذلك ، فقد أصبحت الخصلتان الأعظم في الحياة هما : « الإيمان بالله . ونفع الأخوان » ولهذا فإن : « أسرع الخير ثواباً البِرّ » و « أكثر ما يُدخل الجنة النـاسَ : تقوى الله . وحسن الخلق » و « إن أهل المعروف في الدنيا هم أهل المعروف في الآخرة . وإن أول أهل الجنة دخولاً هم أهل المعروف » و « ان في الجنة بيتاً يقال له بيت الأسخياء » ـ كما ورد في الأحاديث ـ

وتأتي الوصية : «افعل الخير إلى كل من طلبه منك ، فإن كان من أهله فقد أصبت موضعه ، وإن لم يكن له بالأهل فأنت أهله ، وأن شتمك رجل عن يمينك ثم

تحوّل إلى يسارك واعتذر إليك فاقبل منه » .

وهذه هي المناقبية الرسالية التي لا تقصد من « طيبها » و « نفعها » سوى رضا الله ، وتحقيق الإيمان الصادق .

●

وإذا كانت « المناقبية الرّسالية » ضرورية من أجل تحقيق الإيمان الصادق ، فهي ولا شك أكثر ضرورة لمن يدعو الناس إلى الإيمان الصادق . .

فالمؤمن الرّسالي . ليس هو الذي يحفظ الإسلام عن ظهر قلب ، ويعرف كيف يشرحه للناس ، تماماً كما تشرح آلة التسجيل - عبر الشريط - ما تلقن به . . الإسلام يرفض أن يتحول إلى دكان حلاقة يتاجر به حملته ويقول :

﴿ مثل الذين حمّلوا التوراة ثم لم يحملوها ، كمثل الحمار يحمل أسفارا بئس مثل القوم الذين كذبوا بآيات الله . والله لا يهدي القوم الظالمين ﴾ .

الإسلام لا يعترف إلا بالمؤمن الذي تتجسد فيه قيمه

الخلقية ، ومبادئه السلوكية ، كلمة كلمة ، وحرفاً حرفاً .

فالمقياس ليس هو معرفة الإسلام ، وإنما هو العمل المخلص به وتنفيذ إردته . فكم من اناس يعرفون الإسلام ولكنهم أبعد الناس منه ؟ وكم من اناس لا يعرفون الكثير منه وهم أقرب إليه من حبل الوريد ؟ كم حفظة للقرآن وهم ملعونون فيه ؟ وكم من حَمَلة للدين وهم الأشقياء به ؟

وإذا كنا نسعى من أجل خَلق جيل مؤمن فلا بد أن نطبق في أنفسنا متطلبات الإيمان ، ولا بد أن نحمل معنا كفاءات هذا العمل .

يقول الإمام علي (عليه السلام) :

« من نصب نفسه للناس إماماً فليبدأ بتعليم نفسه قبل تعليم غيره ، وليكن تأديبه بسيرته ، قبل تأديبه بلسانه . ومعلّم نفسِه ومؤدبها أحق بالأجلال من معلّم الناس ومؤدبهم[1] » .

إذن . . فالمؤمن الرسالي . ليس شمعة تحترق هي

(١) ألف باء الإسلام ص ١٨٣ .

بينما تضيء للآخـرين فحسب ، وإنما هـو واحة خصبـة تمتص أشعة الشمس وتعطيها ثماراً ناضجة للآخرين .

المؤمن الرسالي هو الذي تعرفه بـأعمالـه ومواقفـه كما قال الرسول الأعظم (صلى الله عليه وآله وسلم) :

« ان المؤمن من عبـاد الله لا يحيف على من يبغض . ولا يـأثم فيمن يحب . ولا يضيّـع مـا استـودع . ولا يحسـد . ولا يـطعن ولا يلعن . ويعـترّف بـالحق وان لم يشهد عليه . ولا يتنابز بالألقاب . في الصلاة متخشع . إلى الـزكـاة مسرع . في الـزلازل وقـور . في الـرخـاء شكور . قانـع بالـذي له . لا يـدَّعي ما ليس لـه . ولا يغلبـه الشح عن معـروف يـريـده . يخـالط النـاس كي يعلم . وينـاطق النـاس كي يفهم . ان المؤمن يـأخـذ بأدب الله[1] » .

وكما قال الإمام علي (عليه السلام) :

« المؤمن سهل الخليقة . لين العريكة . نفسه أصلب من الصلد ، وهو أذل من العبد[2] » .

---

(١) كلمة الرسول الأعظم .

(٢) نهج البلاغة .

وهكـذا فإن المؤمن الـرّسالي يجعـل من نفسه نمـوذجاً تطبيقياً للمجتمع الرّسالي ، فينفّذ في نفسه كل مـا يريـد تنفيذه . على مجتمعه ، ويحاول هداية الناس بالمـواقف ، والأفعال .

يقول الإمام علي (عليه السلام) :

« لا تكن ممّن يـرجو الآخـرة بغير العمـل ، ويـرجـو التوبة بطول الأمل . يقـول في الدّنيـا بقول الـزاهدين ، ويعمل فيها بعمل الراغبـين . إن أعطي منهـا لم يشبع ، وان منـع منهـا لم يقنـــع ، يعجـز عن شكـــر مـا أوتي ، ويبتغي الزيادة فيما بقي ، ينهى ولا ينتهي . ويأمـر بما لا يـــأتي . يحب الصـالحـين ولا يعمـل عملهم . ويبغض المذنبين وهو أحدهم . يصف للعبرة ولا يعتبر . ويبـالغ في المـوعـظة ولا يتعظ ، فهـو بـالقـول مـدّل وبـالعمـل مقل[1]» .

●

ان المـطلوب : رجال يلتـزمـون بـروابط الإسـلام في علاقاتهم مع أنفسهم ومع الناس ومع الأحياء .

---

(١) نهج البلاغة .

المطلوب : رجال مناقبيون ينبذون القيم الجاهلية التي تحكم دنيا اليوم : ينبذون التعالي ، ويستبدلونه بالتواضع . ينبذون سوء الظن باخوانهم ، ويستبدلونه بحسن الظن بهم . ينبذون الاحتقار للناس ، ويستبدلونه باختيار أجمل الألفاظ إلى سمع مخاطبيهم .

المطلوب : رجال لا يسمحون لأنفسهم الهبوط إلى مستوى عبادة الراحة والتعالي واللّمز والغمز بالآخرين .

المطلوب : رجال يفهم بعضهم البعض ، ويعيشون كأسرة واحدة تحكمها الثقة المتبادلة والحب الأخوي الصادق والتواضع المتين .

المطلوب : تجمع نموذجي مؤمن ينبع قوله من عمله ، ويكون رمزاً لجمال الدِّين في كل شيء :

آ ـ في المظهر الذي يجب أن يكون أنيقاً ونظيفاً ما دامت النظافة والأناقة جزء من الإيمان « النظافة من الإيمان »

ب ـ وفي المحاورة ، ما دام « ان الله يأمر بالحسنى » ﴿ وقولوا للناس حسنى ﴾ ﴿ وقل لعبادي يقولوا التي هي أحسن ان الشيطان ينزغ بينهم ﴾ .

وفي انبساط الوجه « المؤمن هشٌ بش » « المؤمن حزنه في قلبه وبشره في وجهه » .

إنَّ مثل هذا التجمع المناقبي ، هو الذي يستطيع أن ينشر النور على طريق الإنسان ، ويرفعه إلى قمة المجد والعزة والكرامة . .

البحث عن السعادة

انَّك تفتش عن المال ؟

لماذا . ؟

لكي تتزوج ، وتأكل ، وتشتري البيت ، وتسافر .

ولكن : لماذا تريد أن تتزوًّج ، وتأكل ، وتشتري البيت ، وتسافر ؟

لأنَّك تشعر بالسعادة من ذلك كلُّه . أي تشعر بنوع من اللذة معها .

فإذن فأنت تفتش عن السعادة . .

●

وغيرك أيضاً الذي يفتش عن أشياء الحياة ، فانَّه يفعل مثلك . .

فالشاب الذي يدخل المدرسة ، ويسهر الليالي ، ويقضي عمره في المختبرات . لماذا يفعل ذلك ؟

إنَّه - بالطبع - يبحث عن المستقبل ، عن الوظيفة ، عن المنصب ، ولكن : لماذا المستقبل ، والوظيفة ، والمنصب ؟

لأنَّه يشعر بلذة عندما يمارس وظيفته كرئيس لقسم ، أو عندما تستريح الشارات على كتفيه ، ويرفع الجنود له التحية ، فهو إذن يسعد بذلك ، ومن ثم فانه يعتبر ذلك سبباً من أسباب اللذة . فهو أيضاً يفتش عن السعادة .

●

وأيضاً . . فالفقير الذي يقرع الأبواب طالباً فتاة الطعام . لماذا يفعل ذلك ؟

حتى يصبح غنياً ؟

ولماذا الغنى ؟ انَّه بالطبع يعتبر الغنى نوعاً من السعادة .

●

وحتى الطفل الذي يبحث عن الفراش الوثير ، والشنطة الأجمل ، والدفاتر الزرقاء ، فانه يفعل ذلك لأنَّه يحس مع ذلك بنوع من السعادة . .

وهكذا نرى أن جميع زوار هذه الحياة ، إنَّما يبحثون في أسواقها عن « بضاعة » واحدة هي : السعادة . .

والسعادة ، تبدو للإنسان دائماً كالسراب كلَّما وصل إليها الإنسان ترائت له في مكان آخر . .

إذن يبدأ الإنسان رحلته باتجاه السعادة منذ أول يوم ، ولكنه يموت وهو لا يزال يبحث . . فما يراه اليوم وسيلة للسعادة ، عندما يصل إليها يشعر بأن السعادة قفزت إلى مكان آخر ، وانها أصبحت أبعد منالاً من السابق .

فالفقير يفتش عن السعادة في بيوت الأغنياء ، والوضيع يفتش عنها في قصور العظماء ، والقبيح يفتش عنها عند الجميل ، بينما لو نبشت قلب أكبر ثري وأعظم أمبراطور ، وأجمل فتاة ، وصاحب أكبر معمل ، لرأيت أن السعادة أبعد عندهم منها في قلوب الفقراء والبسطاء وأصحاب الوجوه البشعة . فعندما لا يكون الإنسان

مالكاً لشيء فانه يتصور انه هو نبع السعادة ، ولكنه سرعان ما يكتشف خطأه عندما يجلس على ضفافه . . فالدنيا ـ كما يقول الإمام الصادق (عليه السلام) ـ :

« مثل ماء البحر كلَّما شرب منه العطشان ازداد عطشاً حتى يقتله » .

ولأن الإنسان يخيب ظنّه كلَّما بحث عن السعادة . كما يخيب ظن العطشان وهو يشرب ماء البحر حتى انه يموت وهو يبحث عنها ، لذلك فقد اعتقد الكثيرون من المفكرين ـ في مختلف أدوار التاريخ ـ ان السعادة « هدف » خيالي لا يمكن الحصول عليه .

وقد قام بعض الهنود برحلة حول العالم بحثاً عن السعادة في أية زاوية ، ولكنهم عادوا إلى بلادهم بنتيجة واحدة هي « ان السعادة أمر موهوم لا وجود له في أي مكان » و « ان الذي يبحث عن السعادة يكون عادة من أشقى الناس » .

●

ولكن . . هل صحيح ان السعادة أمر موهوم ؟

قبل الإجابة على ذلك لابدَّ أن نعرف ماذا تعني

السعادة ؟ وعلى ضوئه نعرف هل هي حقيقة أم خيال ؟

ان السعادة إذا فسِّرت بتحقيق أحلام كل إنسان على وجـه الأرض فهي حتـماً « وَهم » ، بـل انها من أضخم الأوهام . ذلك لأن الإنسان لا يكف عن الأحلام ، فلو فرضنا انه إستطاع أن يحقق كل ما كـان يحلم به في يـوم من الأيـام ، فـلا شـك انـه سيه ـم بـأشيـاء أخــرى ، ويبحث عنها ، وهكذا تصبح « الأحلام المحققـة » عنده بلا طعم فهي لن تعطيه السعادة .

هذا ، بالإضافة إلى أن الـدنيا ليست « معمـل تحقيق أحلام » وإنما هي « قـاعة إمتحـان » خلقها الله لاختبـار الناس فيها : ﴿ **احسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنَّا وهم لا يفتنون** ﴾ . أمـا تحقيق الأحلام فقـد أجَّلها الله إلى الآخرة ، هناك حيث يجد المؤمنون :

« مَا لَا عَيْنٌ رَأَتْ ولا أُذن سَمِعَتْ ولا خطر على قلب بشر » .

وإذا فُسِّرت السعادة بـالإنسجام مـع الواقـع - واقع الحياة ، وواقع الطبيعة البشرية ، وواقع السنن الكونية - فإن تحقيقها ليس فقط أمراً ممكناً ، بل وقريبـاً أيضاً . إذ

من الممكن تحقيق الإنسجام مع النفس والحياة ، بدليل إن كثيرين فعلوا ذلك ، واعترفوا بأنَّهم يعيشون في خيمة السعادة . .

فما هو المقياس في ذلك ؟

طبيعي إن مقياس السعادة ليس شيئاً خارجياً ، إنما هو إنسجام الداخل مع الخارج ، فليس المال الخارجي هو الذي ينبت السعادة ، وإنما الذي ينبتها هو إنسجام الإنسان مع المال ، أو أي شيء خارجي آخر . .

إن الوصول إلى السعادة يتطلب معرفة الحياة البشرية ، والسنن الكونية ، حتى يستطيع الإنسان عقد إنسجام بينهما .

ولكن كيف نتعرف على السنن الكونية ، ونحن لا زلنا نجهل ألف باء هذه السنن ؟

والجواب : نتعرف عليها عن طريق الله : خالقها ومبدعها ، ومدبرها . .

وأمَّا الطبيعة البشرية ، فأنَّنا نعرف الآن ، أن لها جانبين :

الجانب الأول ـ مجموعة الرغبات ، والدوافع الجسدية .

الجانب الثاني ـ مجموعة الرغبات ، والدوافع الروحية .

ومتى ما تمَّ الإنسجام بين رغبة الإنسان ـ الجسدية أو الرَّوحية ـ مع « الشيء » الخارجي عندئذ يتم تحقيق السعادة .

فمثلاً عندما يتم الانسجام بين الجنس في الإنسان مع الخارج ، أي تحقق الرغبة الجنسية بالتلاحم مع « الأنثى » فأن السعادة الجسدية تتحقق من هذا الجانب . .

وعندما يتم الانسجام بين رغبة « الخلق الجميل » في النفس البشرية مع الخارج ، ويصبح الإنسان محققاً له خارجاً ، عندئذ تحقق السعادة الروحية . .

وبما أن جانبي الإنسان مترابطان متشابكان فأنَّ السعادة الحقيقية لن تولد إلا إذا تحقق الانسجام الجسدي والروحي معاً . . أما من دون ذلك فلن تأتي السعادة إلاَّ ناقصة ، أو مشوبة بالشقاء .

مثلاً : لو حقق الإنسان رغبة الأكل عنده عن طريق الكسب الحلال ، فأنَّه يكون حين تحقيق هذه الرغبة منسجماً مع « المادة الخارجة » وهي مواد الأكل ، ومنسجماً مع أوامر ضميره . فهو إذن مرتاح الجسد والضمير معاً . .

أمَّا لو حقق هذه الرغبة عن طريق السرقة مثلا ، فانَّه سيحس بسعادة جزئية ، لا تستمر أكثر من دقائق بينما سيحس بالشقاء الروحي ، من جراء تأنيب الضمير . .

إذن : فالسعادة هي في الانسجام الجسدي ، والروحي ، مع طبيعة الحياة الإنسانية .

و « مواد » الحياة الإنسانية هي أشياء هذه الحياة ، أمَّا الروابط التي تعقد الانسجام بين هذه المواد وبين الإنسان فهي :

آ ـ الإيمان .
ب ـ العمل الصالح .
ج ـ التواصي بالحق .
د ـ التواصي بالصبر .

يقول القرآن الكريم :

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ والعصرِ . . ان الانسان لفي خسر ! إلاَّ الذين آمنوا . وعملوا الصالحات . وتواصوا بالحق . وتواصوا بالصبر ﴾ .

فكل إنسان خاسر في صفقة الحياة ، لو لم يكن مؤمناً يعيش في « مجتمع مؤمن » .

« فالإيمان ضرورة حضارية هامّة ، فهو يكرِّس ميزة البشر عن سائر الأحياء ، لذلك فليس من نعمة في الحياة إلاَّ هي رهينة الإيمان بصورة مباشرة أو غير مباشرة . .

« ولأن الإنسان لا يتقدّم إلاَّ حينما يجد أمامه قيمة يتطلع إليها ، فأن الإيمان هو رمز تقدم البشرية لأنَّه يعطي لها قيمة سامية يتطلع نحو تحقيقها وتطبيق مثلها العليا .

« ولذلك فأن طلائع البشرية المتقدمة نحو آفاق الحضارة والرقي ، انَّما إنبثقت من رحاب الإيمان . . بالله تعالى ، وتزوَّدت بطاقة التوكل عليه والثقة في

رحمته ، وتابعت بذلك مسيرتها المباركة نحو التقدم والازدهار .

« ويسجل التاريخ بوادر الحضارات الإنسانية ، ويذكر كيف أنها ابتنيت بفضل أجيال مؤمنة طليعية وأبسط الأمثلة التاريخية وأروعها كذلك نجده متمثلاً في الحضارة الإسلامية التي أعطت البشرية الكثير في كل حقول العلم والفضيلة ، والتي لم تكن لتنبثق إلاَّ في حضيرة الإيمان[1] . .

فالإيمان شرط من شرائط السعادة ، لأنَّه يضع الإنسان في طريق الانسجام مع السنن الكونية العليا ، ولهذا نجد أنَّ البشرية الفاقدة للإيمان ليست أكثر من جسد ميت لا روح فيه . كما أن الأمة التي لا إيمان لها ، أمة خاسرة يعشعش فيها الشقاء .

فالإيمان وحده القادر على منع الاستغلال ، والاحتكار ، والظلم ، وهو وحده القادر على إخماد الأحقاد والعداوات التي تثير الحروب .

---

(١) الإيمان والحضارة ص ٩ .

﴿ يــاأيهــا النــاس ! انــا خلقنــاكم من ذكـر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائـل لتعارفـوا إن أكرمكم عنـد الله أتقاكم ﴾ .

●

ولو ضربنا الايمان ، فماذا يبقى البديل عنه ؟

يقـولون : العلم . فـالشعب المتعلم المثقف لا يحتاج إلى الايمان ليمنع الاحتكـار والاستغلال والـظلم . . فلو تعلمت البشـريـة ١٠٠٪ لاختفت الحـروب والأحقـاد ، والظلمات . .

ولكن : إذا كـان الأمر كـذلك فلمـاذا نرى أنَّ أكـثر الشعـوب المثقفة ، الحـاملة لمشـاعـل الحضـارة هي التي تمارس الظلم ، والاحتكـار ، والاستغلال مستخـدمة في ذلك « العلم » ذاته ؟

إن الـعـلم سـلاح ، ولا يمـكـن أن يخـلق « وازعــاً داخلياً » لانَّه ليس ضميراً ، وإنما هو مجرد سلاح وبمقدار ما يَكون هذا السلاح قوياً وقاطعاً فـان البشريـة تكون ـ بنفس المقـدار ـ محتاجـة إلى الضـمـير ، والـوازع ، لكي يمنع من إستخدامه .

من هنا فان المعادلة الصحيحة تقول :

كلّما إرتفعت درجة الحرارة في « ترمومتر » العلم ، فأن حاجة الإنسان إلى تعميق الايمان تزداد بنفس المقدار .

أمّا العلم ، بلا إيمان فهو الذي خلق الحروب والرّعب النووي وقضى على الملايين . . ولا شك أن هذا العلم أكثر خطراً من الجهل المطلق .

أتريدون مثالاً على ذلك ؟ أن حامل البضائع البسيط لا يستطيع أن يكون خطيراً إلى درجة الحائز على شهادة الدكتوراه في السياسة ، فحامل البضائع عندما يتحول إلى سارق مثلاً ، فهو لا يستطيع أن يسرق أكثر من صندوق تفاح ، وغالباً ما يقع في قبضة البوليس . أمّا الحائز على شهادة الدكتوراه في السياسة فهو إذا تحول سارقاً ، فلن يسرق صندوق تفاح . . انّه يسرق ـ إذ ذاك ـ شعباً بأكمله ، من دون أن يقع في قبضة البوليس لأنَّ البوليس حينئذٍ يكون جزءاً من كيانه . جزءاً من سلاحه . فالعلم إذن لا يمكن أن يسعد البشرية . بل بالعكس يستطيع أن يشقيها إذا تجرّد من الإيمان .

خذوا مثالاً على ذلك : عندما كانت البشرية تموء في

الجهـل ، كانت الحـرب الواحـدة لا تخسـرهـا أكـثر من الفـين أو ثلاثـة آلاف رجل - عـلى أكثر تقـدير - ولكنهـا عندما امتلكت « سلاح » العلم ، وبدأت تنتـج - نتيجة امتـلاك العلم - الطائـرات الضخمـة ، والصـواريـخ ، ومختلف الأسلحـة الفتـاكـة ، فـان الحـرب البسيـطة أصبحت لا تقتنـع بـرؤوس عشـرات الألـوف ، وإنمـا تعدّتها إلى الملايين[1] .

ان العلم كالحكمة ، إذا وقع في يد من لا يحمل ايماناً تحوّل إلى سلاح قـاتل وخـطير ، بينما إذا ملكـه قلب فيه إيمـان تحوّل إلى عـامل أسعـاد ، وخـير . ومن هنـا قـال الإمام علي (عليه السلام) :

« لا تعـطوا الحكمـة لغـير أهلهـا فتـظلمـوهـا ، ولا تمنعوها عن أهلها فتظلموهم » .

انَّ الكثير من الجرائم التي تقع في كل أنحاء العالم انما يرتكبها الفارغون من الإيمـان . إذ هل يعقـل أن يقدم - مثلاً - من يملك الإيمان على بيع الرقيق الأبيض ؟ أو هل

(١) انتهت مؤخراً الحرب الفيتنـامية ، بعـد أن طحنت ثلاثـة ملايـين إنسان .

يعقل أن يتاجر بالمواد المخدرة من يخاف الله ؟

امًا ما يقع من ذلك كلُّه فهو نتيجة فقدان الإيمان . وهكذا فأن كل إنسان يكون خاسراً لنفسه ولمستقبله ، لدنياه ولآخرته « إلاَّ الذين آمنوا . . لانَّهم فقط القادرون على الترفع إلى مستوى الإنسان ، لأن إيمانهم يكشف لهم عن تفاهة الحياة إلاَّ إذا كانت معها قيم . . وهم وحدهم القادرون على وضع الكرامة ، والإنسانية ، فوق قضايا المادة والمصالح . انهم - كما قال الإمام علي (عليه السلام) - :

« فتية عظم الخالق في أنفسهم فصغر ما سواه في أعينهم » .

●

وكما أن الإيمان شرط من شرائط السعادة البشرية كذلك العمل الصالح « ذلك لأن الإيمان محتوى وليس إطاراً . . الإيمان عمل أكثر من أن يكون اعتقاداً ، فروح الإيمان هي تذليل النفس حتى تستطيع أن تنفِّذ التوجيهات الصادرة إليه .

امًا الإيمان الفارغ من « العمل الصالح » فانه لا

يعكس إلا الخداع والدجل .

فالأمة التي تدَّعي ـ ادعاءاً فارغاً ـ انتحال الإيمان هي امـة فاشلة لا تختلف من حيث الشقـاء عن الأمة التي لا إيمان لها .

وهكذا تأتي صفة العمل الصالح ، مباشرة بعـد صفة الإيمـان ، لتكـوّن الشـرط الثـاني من شـروط تحقيق الانسجـام بين الإنسـان وبين الطبيعة البشـريـة والسنن الكونية . .

﴿ والعصـرِ إنَّ الانسان لفي خسـر . الاَّ لذين آمنـوا . وعملوا الصالحات .

●

وإذا صمَّمت أمـة عـلى التحـلي بـالإيمـان والعمـل الصالح فهل تستطيع ذلك ؟

انَّ مجرد الإيمان والعمـل الصالـح قد لا يكـون كافيـاً لتحقيق السعادة ، إذ لابدَّ من وجـود ضمانـة اجتماعيـة للالتزام بهما . .

وأحسن ضمانة هو : « التواصي » أي اعتبار كل فرد

نفسه مسؤولاً عن سعادة الآخرين ، لأن إشاعة روح المسؤولية الاجتماعية يخلق رادعاً إجتماعياً يصبح بمرور الزمان « حزام أمان » حول السعادة للإنسان الذي يعيش في مجتمع مؤمن . .

وإذا ما تعرَّض المجتمع السعيد لأية هجمة خارجية مادية أو معنوية ، فإن كل فرد سيعتبر نفسه مسؤولاً عن الدفاع ، ومسؤولاً ـ أيضاً ـ عن تجنيد الآخرين للدفاع ، ويوصيه بالصبر .

فالذين يعيشون وحدهم في ظل الإيمان لا يمكن التنبأ بمستقبل أمرهم ، فالامة ـ اية امة ـ لا يمكن أن تكون امة رسالية إلَّا إذا آمنت بالرسالة ، وعملت بِبنودها ودعت إليها . . كذلك .

فالإنسان الواحد ـ أو المجموعة من الناس ـ لا يمكن أن يعيش وحده ـ أو تعيش المجموعة وحدها ـ طيباً بين اناس خبثاء ، فلا بدَّ أن يكون هناك « جو طيب » أو طيب شامل ، وهذا لا يتم إلَّا إذا أوصى الآخرين بالطيب ، بالحق ، بالصبر ، وبكل خلق كريم مماثل .

وانَّه لأمر واضح : أنَّ التعاون في الطيب ، والحق ،

والخير هو ضمانة استمرارها ، وإلاَّ فأن الشيطان لن يسكت على محاولات الطلائع المؤمنة التي تريد أن تعيش الإيمان قولاً وعملاً . عقيدة ونظاماً . خلقاً وضميراً .

فكل فئة مؤمنة لا بد أن تُحارب .

هل هناك أعظم من الأنبياء ؟ ثم هل نجد نبياً في التاريخ لم يحاربه قومه ؟

وإذا كان الأنبياء قد تعرضوا للمحاربة ، والرفض ، فهل تَسْلِمِ اية فئة أخرى من ذلك ؟

إذن فلابد من الصبر . ولابدّ من الانسجام مع هذا القانون : كل عمل طيِّب تقابله بمحاولة خبيثة لهدمه . وإذا ما تم الانسجام مع هذا القانون فأن التواصي على الحق والصبر على محاولات الشيطان يكون نوعاً من المتعة . ومن ثمَّ نوعاً من السعادة .

يقول الله تعالى :

﴿ . . **وتواصوا بالحق . وتواصوا بالصبر** ﴾ .

وهكذا نجد انَّ شروط تحقيق « السعادة الممكنة » على وجه الأرض هي :

آ ـ الإيمان .

ب ـ العمل الصالح .

ج ـ التواصي بالحق .

د ـ التواصي بالصبر .

يقول الله تعالى :

﴿ من عمل صالحاً من ذكر أو انثى وهو مؤمن ، فلنحيِّينه حياةً طيبة ولنجزينهم أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون ﴾ .

●

ومع هذه الشروط ، فإن تحقيق السعادة ليس أمراً ممكناً فحسب ، بل وواقعاً أيضاً . فقد استطاع الإسلام من ذلك في كل مرة أخذ به الناس .

« فحينما يبني الإيمان مجتمع القيم الفاضلة ، وينسف جميع الحواجز الزائفة ، تستطيع التعاليم الخلقية أن تتخذ طريقها إلى التنفيذ لتبني المجتمع النموذجي الحميد .

« وفي التاريخ الإسلامي استطاع الإيمان من بناء هذا المجتمع ـ فعلاً ـ حيث كانت القيم الدينية هي السائدة عليه ، وكانت القيم المادية منحسرة عنه بحيث أن مجرد

التفكير في تقديسها كان يثير السخرية .

ولقد كان مستوى الأخلاق في المجتمع الإسلامي مثار عجب كبير لكل من تعرض للتاريخ .

« والقصة التالية تبيِّن لنا جانباً من هذا المستوى :

« كان مالك الأشتر قائداً في الجيش الإسلامي ولكنه بالرغم من ذلك كان يختار لنفسه الملابس المتواضعة ، وبينما هو في بعض الأيام يخترق سوق الكوفة إذ استهزأ به رجل عادي ، جهلاً بمكانته . . ومضى مالك في طريقه لا يلتفت إليه ، ولكن ما لبث الرَّجل أن عرفه فانطلق يبحث عنه فلم يجده إلا في المسجد ، فجثا بين يديه يعتذر إليه . فقال له مالك :

هل تدري من جاء بي إلى المسجد ؟

قال ـ : لا .

قال ـ : إنَّما جئت لأستغفر لك ذنبك حيث لم أحب أي يدخل أحد بسببي النار !

« ان وجود أمثال هذا القائد المتواضع لن يندر في مجتمع تسوده القيم السامية نتيجة تمسك هذا المجتمع

بالإيمان[1] . .

●

ترى أليس هذا المجتمع سعيداً في الحياة ؟ . .

---

(١) الإيمان والحضارة ص ٢٦ .

... الإيمان
ومن لا إيمان له



دَخَلَ أحد خلفاء بني العباس على زاهد في الحياة ، كان قد أعتزل الناس واعتكف في زاوية من زوايا بيته ، مفترشاً الرمال ، وملتحفاً السماء .

فتعجَّب الخليفة من حياة الزاهد البسيطة وبيته المتواضع . وأُصيب بالدوار عندما قارن بين حياته الشديدةِ البساطة وبين حياته هو البالغة البذخ والترف . .

ومن أجل المداعبة معه قال للزاهد :

ـ أيُّها الزاهد كيف تنظر إلى زهدك ؟

وأجابه الزاهد ، بهدوء بالغ :

ـ أعتقد انَّه شيء بسيط ، بالمقارنة إلى زهدك ايُّها السلطان !

واندهش الخليفة . فأيٍّ زهد هذا الذي يقصده الرجل ؟

وبابتسامة مصطنعة قال :

ـ أيٍّ زهد تعني ؟ ليس لي زهد !

وأجابه الزاهد :

ـ زهدك ، الغريب في الجنة . هذا ما أعنيه بالضبط . .

وقبل أن يقول الخليفة شيئا ، أضاف الزاهد :

ـ أنا زهدتُ في حطام الدنيا . وقصارى ما أعيش فيه سبعون عاماً أو ثمانون . أمَّا أنت فقد زهدت في نعيم الآخرة ، عندما ركبت الفسق والفجور ، وأقل ما تعيش هناك هو أبد الآبدين . فاحكم ، أيَّنا أزهد : أنا أم أنت ؟

●

بهذا المنظار العميق ، الذي يجمع بين الدنيا والآخرة في لحظة واحدة ليكشف عن تفاهة الحياة هنا ، وعظمة الحياة هناك ، ينظر المؤمنون إلى العالم ، ومن خلاله يفهمون شرف مبادئهم ، والقيم التي آلو على أنفسهم التقيد بها كأغلى ما في الحياة . . لأنَّها هي التي تؤهلهم للدخول إلى الجنَّة .

وبسبب امتلاك هذه الرؤ ية العميقة نرى أن المؤمنين الحاملين لمشعل الإيمـان الصادق ، هم أقـوى من الجبال « لأن الجبـل يُستقل منـه . والمؤمن لا يُستقـل من دينـه شيء » .

كما قال الإمام الصادق (عليه السلام) :

و « إلى الرفيق الأعلى » . . هـو شعارهم في الحيـاة . أمَّا هدفهم فهو رضوان الله . لأنهم يعـرفون أنَّ أبـدانهم لا ثمن لها إلاَّ الجنة ، ولـذلك فـأنهم لا يبيعون الأبـدان إلاَّ بها .

ونـظرة المؤمنين البعيـدة هذه ، إلى الحيـاة تجعلهم في مـأمن من أيٍّ انـحــراف سلوكـي أو فكــري ، لأنَّهم يتـرفعون عن مغـانم هذه الحيـاة ، فـلا تثيـرهم اللذات العابرة ، ولا ينحنون أمام المغريات . .

أن كـل مـا في الأرض ، من كنـوز ومقـام كـريم لا تســاوي عنـدهم شيئـاً إذا لم تخـدم مبــادئهم . . أنهم يعملون .

كما قال الإمام علي (عليه السلام) عن نفسه :

« والله لـو اعطيت الأقـاليم السبعة بمـا تحت أفلاكهـا

على أن أعصي الله في نملة أسلبها جلب شعير ما فعلت ».

وكما قال : « الا وان امرتكم هذه أزهد عندي من عفطة عنز » « أأقنع من نفسي أن يقال لها أمير المؤمنين ولا أشاركهم مكاره الدهر ؟ » .

إنَّ مبادىء الكرامة ، والاستقلال ، والعدل ، والحرِّية ، والطاعة ، هي فوق أن يساوموا عليها أو يتنازلوا عن واحدة منها ، فلا ضعف أمام النزف الحرام ، ولا تهالك على جيف الحياة المغلفة بالشهوات . .

أنهم يعيشون الجنَّة بكل ما فيها من نعيم الله المعدّ لعباده المكرمين ، فهم على وجه الأرض بينما أرواحهم تحوم حول الجنان الواسعة . أوسع من السماوات . . وهم على وجه الأرض بينما قلوبهم ترتجف من السقوط في نيران الجحيم . التي وقودها الناس والحجارة . . فهم ـ كما قال الامام (عليه السلام) :

« والجنة كمن رآها فهم فيها منعَّمون . وهم والنار كمن رآها فهم معذَّبون » . .

ما أعظمهم من أبطال ؟

وما أروع مواقفهم في الحياة ؟

ما أشمخ القمة التي تتطلع إلى السماء ، ولا تسف إلى الانحناء ، أمام الوهاد . ؟

ما أعظم الذي تعصمه نفسه من الصغار ، فلا يسقط عليها كالذباب ، ولكن يتسامى في الجو كالنسور ؟

سألني ـ يقول أحد الكتَّاب ـ وفي عينيه شبه دمعة : ان قبس النور الذي اشتعل في نفسي منذ وعيت الحياة ، هذه الومضة التي تجعلني إنساناً أوشك الخطر أن يحدق بها ، كادت الرِّيح تطفئها . أتراني أسقط من عش النسر إلى وكر الثعلب ؟

وشعرتُ أنه في ضيق . أحسست أن أعواد قفصٍ ، لا أراه ، تكاد تطبق عليه ، وهو الذي كنت أعرفه منطلقاً ، متشامخاً ، رأسه في الذروة ، وأنفه في السماء . وسألته بدوري :

ما دهاك ولست أعرف جديداً في حياتك ؟

قال ـ : بل الجديد في نفسي . . ان نور الحرِّية التي

أحببتها موشـك أن يخبو . . حـرِّيتي في ان أقول واعمـل وارى .

قلت ـ : وماذا يمنعك أن تقول ما تشاء ، وتعمل مـا تشاء ، وترى ما تشاء ؟

قال ـ : طوق غير منظور !

قلت ـ : من ذهب ؟

قال ـ : بل من طمع .

قلت ـ : وأنت الذي وضعته راضياً ؟

قال ـ والدمعة في عينيه ـ : نعم . . .

وامـام هؤلاء ـ ومـا أكثـرهم ـ تبـدو عـظمـة الـذين يترفعون عن السقوط في دَوَّامة الطمع في الحطام .

وأمـام هؤلاء الأقزام ، تبـدو ضخامـة الذين يحملون الايمـان بـالله ، ويحلِّقـون بـه في أجـواء روحيـة صـافيـة تجعلهم في استغناء عن كل شيء ، وتجعل الأشياء كلهـا تحتاج إليهم . . فهم عن الناس في غنى ، والناس إليهم في حـاجـة . . لأنَّ النـاس ينسلخـون من الإيمـان في الحالات الطبيعيـة ، ولكنَّهم يهرعـون إليه ، وإلى حَمَلَتـه كلَّما ألمت بهم الكوارث ، وعصفت بهم الأنوار .

وكما جاء في الحديث القدسي :

« من خاف الله اخاف الله منه كل شيء ، ومن لم يخف الله اخافه الله من كل شيء » . .

وإذا كان المؤمنون يخافون الله وحده ، فأنَّ كل قوَّة الدُّنيا لا تعني لهم شيئاً ، فيؤتى بواحد منهم ويطلب منه أن يتنازل عن مبادئه وإلَّا أحرقوه بالزَّيت المغلي ، وصنعوا منه الأدام . . فيرفض ذلك ويقول :

ـ لا والله لأن تطبخوني فهو خير لي من ذلك . .

ثم يبكي . فيقال له :

ـ إذا كان الطبخ خيراً لك ، فممَّ بكاءك ؟

فيجيب :

ـ أبكي ، لأنَّكم لا تستطيعون أن تقتلوني إلَّا مرة واحدة . ولأنِّي لا أملك إلَّا حياة واحدة أقدِّمها بين يدي الله . ويا ليتني أقتل ثم احرق . ثم أحيى ثُم اقتل ، ثم احرق وهكذا سبعين مرَّةً لازداد رفعةً ومقاماً . .

والآخر منهم ـ واسمه سعد بن ربيع ـ يسقط في ساحة المعركة ، وعليه ضربة اثنى عشر رمحاً ، فيرسل عليه رسول الله قائلاً :

من يأتيني بخبر سعد ؟ فينبري له أحد المسلمين .

فيشير رسول الله إلى زاوية من المعركة ويقول :

« رأيته هناك وقد شرعت حوله اثنا عشر رمحاً ، فأذا رأيته فأبلغه عني السلام » .

ويأتي الرَّجل إلى الزاوية التي أشار إليها الرسول وينادي :

ياسعد ! فلا يسمع جواباً . ويكرِّر النداء :

ياسعد ! فلا يسمع جواباً . حتى يقول :

يا « سعد ! ان رسول الله يسئل عنك » .

فيسمع صوتاً خافتاً ينبعث من جسد جريح ، يقول :

أصحيح أن رسول الله حيٌّ ؟

ذلك أنه كان قد سمع قائلاً يقول « قُتل محمد » فصمَّم على أن لا يكلِّم أحداً إلى أن يموت . .

فيقول له الرَّجل :

أن رسول الله يبلعك السلام وقد أخبرنا أن عليك أثر اثنى عشر رمحاً . فقال :

نعم انه كذلك . ثم أضاف :

« أبلغ قومي الأنصار عنِّي السلام وقل لهم :

والله ما لكم عند الله عذر أن تصل إلى رسول الله شوكة وفيكم عين تطرف » .

ثم يتنفَّس فيخرج منه « مثل دم الجزور » ويقضي نحبه . .

فيأتي الرجل يخبر إلى رسول الله ، فيقول الرسول :

« رحم الله سعداً نصرنا حياً وأوصى بنا ميتاً » .

وهكذا يرفع الإيمان نفوس حامليه ، حتى يجعلهم لا يفكرون في أنفسهم ، بمقدار ما يفكرون في مبادئهم والتزاماتهم . .

وبالعكس ، فانَّ اللاإيمان ، يحطُّ أصحابه إلى الالتصاق العنيف بشهواتهم ، والتضحية بكل مقدساتهم من أجل لذة عابرة ، أو شهوة فانية . .

إنَّهم يعبدون الدنيا . ولذلك فأنَّ « كل شيء » لا يعني لهم « شيئاً » إلاَّ إذا خدمهم في الحصول على الدنيا ولذَّاتها . . فحتى الزوجة ، والأطفال ، والأب ، والأم ، وكل ما في القرابة من معنى ، لا تهمهم . ونجد من هؤلاء بالعشرات في البلدان المادِّية ، كأوروبا وأمريكا ، وروسيا . .

ويومياً نقرأ عشرات الحوادث التي يرتكبها الذين لا إيمان لهم من أجل المادة ، ولذَّاتها . . فبعضهم يبيع

بنـاته للذَّاتـه وبعضهم يتاجـر بزوجتـه ، والآخـر يقتـل أباه ، والرابع يمارس الجنس مع امُّه وكل ذلك نـابع من الفراغ من الإيمان . .

فالذي لا إيمان له ، لا وجدان له .

والذي لا إيمان له ، لا عهد له .

والذي لا إيمان له ، لا وفاء له .

والذي لا إيمان له ، لا رحم له .

فلو افترضنا أن رجلاً لا يؤمن بالله ، واليوم الآخر ، وبدل ذلك يؤمن بالدنيا ـ خلقاً وخالقاً ـ ويؤمن بلذَّاتها حسب ما يقول المثل المادِّي : « هنا كل لـذَّة . أمَّا بعـد ذلك فلن تجد سوى الموت » . . ان هذا بالطبع لن يتردد في ارتكـاب أكبر جـريمـة من أجـل مغنم مـادّي ، مهـما كانت الجريمة كبيرة ، ومهما كان المغنم بسيطاً . .

وتصفَّـح عـاجـل لصفحـات الجـرائم في المجـلات والصحف في كــل مكـان يكفي لإيقــافنـا أمــام هـذه الحقيقة .

كتبت إحدى الصحف العربية تقول :

أطلق عـلى أبيه أربـع رصاصـات . . ثم هشَّم رأسه بمؤخرة البندقية .

حدث هذا أمام شقيقة المتهم الكبرى . . وكان سبب الجريمة حديقة موالح مملوكة للأب القتيـل . . أراد الإبن القاتل أن يستأثر بها ويحرم أخوته .

قضت محكمـة الجنايـات بالإعـدام شنقـاً عـلى الإبن القاتل .

وترجع ظروف الحادث إلى يوم كان الأب ـ البالغ من العمر ستين عاماً ـ يجلس في حديقة مـوالح التي يمتلكهـا وبجواره ابنته ـ البالغة من العمر ٣٠ عاماً ـ يتحدثـان في شؤون زراعتهم عندما فوجئا بـالإبن ـ ٢٤ سنة ـ يخـرج عليهـما من حقل مجـاور ومعه بنـدقية سـريعة الـطلقـات ووجَّه فوهة البندقية إلى صدر أبيـه . . ذهلت شقيقته في الـوقت الـذي حـاول الأب الهـرب من المــوت ، ولكن الإبن تعقَّب أباه وأطلق عليه أربع رصاصات أصابتـه في صـدره وبـطنــه فسقط عـلى الأرض . ولم يكتف المتهم بهذا ، بل إنهال عـلى رأس والده بمؤخـرة البندقيـة حتى هشَّمهـا . . وأمـام هـذا المنـظر المخيف هـربت الأخت وأسرعت إلى العمدة تبلغه مصرع والدها[1] .

---

(١) جريدة « أخبار اليوم » القاهرية تاريخ ١٩٧٣/١/٢٧ .

وليست هـذه الحادثـه إلّا واحدة من آلاف الحـوادث المماثلة التي تقع في العـالم العربي ، المنسـاق وراء الدول المادّية ، وهي واحـدة من ملايـين الحوادث التي تقـع في العالم كلّه نتيجة انعدام الإيمان[1] . .

وطبيعي أنّ هذا لا يختص بالأفراد كأفراد ، وإنما يعمّ المجتمعات كمجتمعات أيضاً . فالمجتمع الذي لا إيمـان له ، لا ضمير له . . وهو لـذلك يـرتكب أبشع الجـرائم من أجل حطام بسيط كقطعة أرض ، أو مقدار من المال أو ما شابه ذلك . .

وخـلال تاريـخ الإنسان نجـد أن ٤٤ ـ حربـاً كبـرى وقعت بسبب خـلاف عـلى ملكيـة الأرض . وأن ٢٢ ـ

---

(١) صدر تقرير في أميركا يقول : في كل ١٥ ـ دقيقة تخطف فتاة . . . ـ وصدر تقرير في بريطانيا ـ صحيفة الديـلي ميل ـ يقـول : أن عدد الجـرائم الخطيـرة ومنها السـرقـات وبيـع المخـدرات قـد ازداد في المترو ـ القطار ـ كازدياد الجرائم في العاصمة فقد ارتكبت في العام الماضي في قنوات المترو فقط ٤,٩١٨ عملاً إجـرامياً ويـزيد هـذا العدد ٣٩٪ كل عام . . وفي ألمانيا صدر تقرير يقول : أن المتاجـر التي تعرضت للسرقة بلغ ١٤٨ الف متجر ، وأن قيمـة البضائـع المسروقة بلغت مليار مارك في العام .
(راجع : الحضارة في عهد الإمام المهدي) .

حـربـاً مماثلة وقعت من أجل الثـروة والمـال ، وان ٢٤ - حـربـاً أخـرى وقعت بسبب الثأر الـطفـولي ، وأن ٥ - حروب وقعت لأسباب تجـارية . بينـما لم تقع سـوى ٨ - حروب للدفاع عن الشرف[١] .

* * *

أمَّـا الذين يحملون بـين ضلوعهم الإيمان بـالله ، فأنَّ كل تصرفاتهم تصبح من نوع إيمانهم . جميلة ، ونـاصعة وإنسانية . .

فالذي يحمل الإيمان ، يحمل معه الضمير . والضمير يقوم بأعمال البوصلة الفكرية التي تهدي الرُّبان إلى المرفأ المقصود .

أتريد شاهداً على ذلك ؟

هنـاك قصة ذلـك الشاب الـذي دفعه الإيمـان للوفاء بعهـده ، في وقت كان ذلـك يكلِّفـه حيـاتـه . . وإليـك تفصيلها . .

حدث مرةً أن النعمان بن منذر أحـد ملوك العرب ،

(١) مجلة الجمهور الجديد عدد ٨٨٨ تاريخ ٢٤/حزيران/٧٢ .

قام برحلة صيد إلى الصحراء ومن بعيد ترائى له صيد سمين ، فاستهواه وتعقّبه وفيها انشغل بتعقيبه ضيَّع الطريق وتاه في بيداء الصحراء وحاول ـ عبثاً ـ الحصول على علامة توصله إلى المدينة ، أو على الأقل إلى جماعته ، ولكنَّه أخفق ، وبمرور الوقت هبط اللَّيل ، ففقد الأمل بالعثور على الطريق فعاد يسوق الفرس بلا هدف ، ومن دون اتجاه . .

ومن بعيد ترائت له خيمة متواضعة كأنَّها رملة سوداء تغطي وجه الصحراء ، فأسرع إليها بعد أن مزَّقه العطش والجوع ، لعلَّه يجد فيها ما يروي غليله ، أو يسعفه من الجوع .

ولدى الاقتراب إليها ، رأى امرأة عجوز ، تخرج إليه مرحِّبة ، فبادرها قائلاً :

ـ امَّاه ، انا جائع هل لديك طعاماً ؟

فأجابته :

ـ على الرَّحب والسعة . انزل بارك الله فيك . ان الضيف ينزل برزقه ويذهب بذنوب أهل الدار .

وقبل أن يدخل الخيمة طالبها بالماء فسقته من كوز

بـارد ، ثم أدخلته الخيمـة وبدا النعمـان يعرِّفهـا بنفسـه قائلاً :

ـ أنـا صيَّـاد من أهــل المدينــة إنقـطع بي الــطريق وضيَّعت ، والآن أطلب منك طعاماً .

فـرحَّبت به ، وأخبـرتـه أن إبنهـا الأكبـر سيـأتي بعـد حـين ، وأنه سيتـولى ذبح التيس الـوحيد الـذي تمتلكـه لتقدِّمه عشاءً له . .

وبينـما كان النعمـان والعجـوزة ينتـظران عـودة إبنهـا الأكبـر وإذ بفارس ، معـه جمـل بـلا راكب طـرق بـاب الخيمـة ، وصاح بمن فيهـا : الا وأن ولدكم قـد مات . وهذا جمله أخذته إليكم .

وظهر أن إبنها الأكبر قد سقط في البئر ومات ؛ ولكن العجوزة لم تقل شيئـاً ، إنما فقط طلبت من الـراكب أن يتعاون معها في ذبح التيس لتصنع منه طعاماً لضيفها .

وبعـد لحـظات كـان كـل شيء مهيئـاً : الـطعــام ، والماء ، والفراش الوثير .

ولما أصبح الصبـاح ، وعزِم النعمـان على المسـير دلَّته العجوزة على الـطريق ، وأعطتـه زاداً للطريق ، وودَّعته خير وداع .

وفي اللحـظة الأخيـرة أخبـرهـا النعمـان أنَّـه سلطان

البلاد ، وأن باستطاعتها أن تزوره في بلاطه ليردَّ عليها جميلها . .

. . مضت الأيام ، وشب ابن العجوزة الأصغر ، ومرت المنطقة بفترة قحط وجدب ، وأشرفت العجوزة على الهلاك ، فطلبت إبنها ، وذكرت له قصة تلك الليلة التي أنقذت فيه السلطان من الجوع والعطش والموت ، وطلبت منه أن يذهب إلى بلاطه ، ويطالبه بردٍّ الجميل لعلَّهما ينقذان نفسيهما من الهلاك . .

فشد الولد الرحال ، وقصد بلاط النعمان ، والأمل الحريري يمشي قدامه ، وينسج له الف صورة ، وصورة .

أليس يذهب إلى السلطان ؟ وأليس هذا السلطان قد قضى ليلة ممتعة في خيمة أُمه ؟ إذن فلابدَّ أن يكون في جميله ما يكفيهم لعام كامل . .

هكذا فكر الشاب ، وهو يقترب إلى المدينة .

ولدى بوابة المدينة رأى جمهرة من الناس ينتظرون السلطان فازداد فرحاً ، إذ أصبح باستطاعته أن يلتقي بالسلطان بلا انتظار لدى البلاط .

ومن بعيد ترائى موكبه . فلم يستطع الشاب أن يملك نفسه ، فانطلق نحوه ، وهو يصيح :

« أيهـــا السلطان أنـــا إبن العجـــوزة التي آوتـــك في خيمتها . . جئتك لتنقذنا . . » .

ولـــدى الاقتـــراب من فـــرس السلطان إنهال عليـــه الجـــلاوزة وأمسكـــوه ، وحملوه إلى النعمـــان . . فتـــأوَّه النعمـان وتأسَّف ، لأن الشاب دخل عليه في وقت جدّ غـير منـاسب . . ذلـك ان النعمـان كـانت لـه حَبيبتـان جميلتـان ، ماتتـا في ليلة واحدة ، فحلف أن يعتبـر يـوم موتهما « يوم الحزن الأكبر » وأن يخرج إلى قبرهما ، ويقتل في الطريق أول من يلقاه . .

ومن سوء حظ الشاب ، أنَّه التقى بالسلطان في ذات الوقت الذي كـان يذهب إلى قبـر حبيبتيه وكان أول من التقى به . .

وهكذا حلَّت عليه اللعنه . !

فقد قال له النعمان :

ـ ياولدي . . بئس الوقت الذي أتيت فيه . . إنَّني لا أنسى جميـل أمِّك ، فقـد آوتني وأنا ضـائـع . وأطعمتني وأنـا جـائـع . وأروتني وأنـا عـطشـان . ودلتني عـلى الطريق . ولكن لا أستطيـع أن أتركـك الآن لأن حلفي سابق لا أخالفـه ، ولا بدَّ أن أقتلك . . غير أني مستعد

لتقـديم ما تـريد . . كـل شيء أضعه تحت تصـرفك ، ولكن لابـد من قتلك . . هـذا مـا لا يمكن التنـازل عنه . . هذا من حظك الأسود .

فارتبك الشاب . . وقال :

ـ وماذا تنفعني كل عطاياك إذا كان لابد من قتلي ؟

فقال النعمان ـ : لابدَّ من تنفيذ ما حلفت له .

قال الشاب ـ : أيُّهـا السلطان لقد جئنـاك لتردَّ علينـا جميلنا . والآن فاجعل جميلك عليَّ أن تتركني لشأني . . »

فقال النعمان ـ : لا يمكن . لابد من قتلك !

فعـرف الشاب أن السلطان مصمم عـلى قتله ، فقال له :

« إذا كان ولابدّ ، فاسمح لي أن أرجـع إلى أُمي فقد تركتها منذ خمسة عشر يوماً في الصحراء لا ماء عندهـا ، ولا طعام ، دعني أستخبر عنهـا ، وأودّعها ،ولك عندي عهد بالعودة على رأس الشهر . . » .

فقال النعمان ـ : هل لديك ضامن ؟

قال الشاب ـ : لا أعرف هنا أحـداً ، ولكنني صادق في وعدي .

قال النعمان ـ : هذا لا يكفي . .

فبدأ الشاب ينظر إلى الجمع المحتشد ، فرأى رجلاً ،

تبدو عليه آثار الصلاح ، ينظر إليه بعطف ، فتقدَّم إليه قائلاً :
هل يمكنك أن تضْمِنني ، حتى أذهب إلى أُمي ، وأعود . ؟

فرق له قلب الرَّجل ، وضمنه .

وقبل أن يبدأ الشاب رحلة العودة إلى أُمه أعلن السلطان أنه سيقتل الضامن إذا لم يعد الشاب في رأس الشهر . .

وتفرَّقوا . .

ومرَّت الأيام . . ولم يظهر أيّ أثر للشاب . . كان اليأس يمزق الضامن . . وكانت الساعات تمر عليه وكأنها القرون .

وفي اليوم المحدَّد ، جمع النعمان حاشيته ، وذهب بهم إلى قبر عشيقتيه ، وأمر بإحضار الضامن . وانتظروا حتى الظهر فلم يظهر أي أثر للشاب . . أراد النعمان أن يقتل الضامن بدلاً عنه فاستمهله الوزراء ، على أساس أن التحديد يعني الإنتظار إلى المغرب . .

انتهى العصر . . كانت الشمس تميل إلى الغروب . . وكانت شحنات الأمل تتبدَّد أمام عيني الضامن الذي كان يتطلع إلى الصحراء في يأس . .

وفيما كان السلطان يأمر الجلاوزة أن يفرشوا النطع ، ويقيدوا الضامن ، ظهر من بعيد شبح إنسان قادم من الصحراء على عجل . .

فأمر النعمان ، أن ينتظر السياف . .

ومع اقتراب الشبح تبين أنه هو الشاب . . كان يلهث من الركض ، وعليه آثار الإرهاق الشديد . .

وعندما وقف امام النعمان قال له :

- . . الآن نفّذ حلفك ، فقد ودَّعت أُمّي !

فاندهش النعمان من وفاء الشاب ، فقال له :

- عجيب أمرك . لقد جئتنا تطلب الدُّنيا ، فأردناك للموت ، وفررت بنفسك ، فلماذا أتيت إليه برجليك ؟

فضحك الشاب وقال :

إن إيماني هو الذي دفعني إلى ذلك . وأضاف :

- إن إيماني يخبرني « أن من لا وفاء له لا دين له » .

فأطرق النعمان برأسه ، وخاطب ضميره : إذا كان إيمان هذا الشاب يدفعه للمثول أمام الموت ، فلماذا أكون عاجزاً عن رفعه عنه . ؟

وهكذا قرَّر أن يتحوَّل يوم « حزنه الأكبر » إلى يوم عيد . . ودقت الأجراس . واكرم الشاب إكراماً عجباً .

●

تُرى : في غياب الإيمان هل يمكن أن نتصور نفسية كنفسية هذا الشاب ؟

إن الناس يحتالون يومياً آلاف الحيل من أجل الحصول على مغنم بسيط ، فهم يضعون آلاف العهود والمواثيق تحت الحذاء من أجل راحة ليلة واحدة ، بينما ترتفع روح هذا الشاب إلى مستوى التضحية بنفسه من أجل عهد قطعه من ظالم . .

أنه الإيمان ، الذي يصنع بالنفوس ، ما لا تصنعه الأمطار بالأرض . .

●

والإيمان أيضاً يتحوَّل في الإنسان إلى قدرة تسمو بصاحبه إلى مستوى الإستهانة بكل قوَّة الدُّنيا والاستهزاء بالعدوّ . لأن المؤمن يشعر بالكرامة الذاتية بالالتصاق بإيمانه ، وثقته بنفسه تكون فوق أن ينهار أمام الهزيمة . .

فالمؤمن لا يعترف لعدوّه بالتفوّق ، لأنَّ العدو الفارغ من الإيمان ، أصغر من أن يحرّك في المؤمن شعيرة واحدة . .

وهاك الشاهد :

عندما سقط شهداء الإيمان يوم عاشوراء على رمال الأرض ، وأنتهت المعركة بمقتل قائد المسيرة المقدَّسة الإمام الحسين (عليه السلام) . كان هناك رجل من أصحابه يمتد بين القتلى ، ولكنه لم يكن ميتاً ، رغم أن مظهر الدماء على جسده كان يوحي بأنَّه ميِّت . .

ولـمَّا سقط الإمام الحسين على الأرض ، وقطعوا رأسه ، صاح جيش الإلحاد : قتل الحسين . . قتل الحسين ، وهزَّت الصيحة المشؤومة أعماق الرَّجل فتحامل ، وهبَّ من بين الجثث . وحاول أن يقف على رجليه فلم يستطع . . فمشى على رجليه ويديه وأخذ يبحث عن حربة أو سلاح ، فلم يجد فأخرج سكيناً كان قد خَبّأه في خُفّه ، وحمل بها على جيش العدو ، مستهيناً بكل ذلك العدد الضخم الذي كان يملأ الصحراء ضجيجاً ، وصراخاً ، وصيحة نصر . .

لقد كان مظهره غريباً . . فقد كان كل رفاقه صرعى على الأرض . . لم يكن لديه أدنى شك في الهزيمة ، ولكنه لم يكن يعترف بالهزيمة إذا كانت تعني الموت بشرف ، كما لم يكن يعترف بالنصر إذا كان لعين الحياة بذل ، وبرغم ضعفه عن المقاتلة فقد بدأ يضرب

بالسكينة على أرجل الجنود التي كانت ترقص على الجثث فرحاً . .

والتفت إليه القوم ، فحملوا عليه بالـرماح ، ومـزّقوه قطعة قطعة .

وهكذا أعطت الإرادة الإيمـانية روح المقـاومة للجسم نصف الميّت ، فـأيقظتـه ، من الأغماء ، ورفعتـه مكانـاً علياً .

●

هذا ما يفعله الإيمـان بالنفـوس . فماذا يفعـل الخواء من الإيمان ؟

إذا كـان صحيحاً أن من يملك الإيمـان ، يملك العزة والكـرامة والقـوة ، فـإن من الصحيـح أيضـاً أنَّ من لا يملك الإيمان لا يملك القوَّة والكرامة والعزَّة .

وهاك الشاهد :

في معركة القدس عام ١٩٦٧/م كـان الجنود العـرب يقـاتلون ، وهم فـارغـون من الإيمـان ـ هكـذا أرادهم الحكّـام ـ ولذلـك فأن الضبـاط أعلنوا عن إستسـلامهم

بمجرد أن عرفوا انها « سوف » تسقط بيد الإسرائيليين .

حتى أنَّ أحد العسكريين نزع ثيابه العسكرية كلَّها بما في ذلك ملابسه الداخلية - لأنَّها عسكرية أيضاً - خوفاً من أن يقبض عليه جنود إسرائيل . .

وعندما رآه الناس كذلك ، سارع من بقي منهم - بلا علم أبيض فوق منزله - فرفع العلم ، معلناً الاستسلام[1] .

وأيضاً :

فعندما سقطت القدس ، في نفس العام ، أرسلت إسرائيل إنذاراً إلى بيت لحم ، عبر إذاعتها ، أن تستسلم قبل أن تدمَّر « حرصاً على أرواح السكان ! » . وقرَّرت المدينة أن تستسلم ، ولكن من يتولى عملية التسليم ؟ الجيش لم يعد موجوداً - كان الجميع قد استسلموا - . والقائمقام لم يكن على استعداد لتحمل المسؤولية . ورئيس البلدية غير مخوَّل . وبينما كان البحث يجري عمن يسلِّم المدينة ، قامت إسرائيل بغارة

---

(١) مجلة « الحوادث » العدد : ٨١٣ - تاريخ : ٩/حزيران/١٩٧٢ .

جوية بسيطة على المدينة فأسقطت عدة قنابل ، قتلت حوالي العشرين شخصاً . .

وعندما رأي الناس ـ الفارغين من الإيمان ـ الدَّم والجثث تملأ مكان سقوط القنابل أسرعوا باتخاذ القرار ، وكان ملخّصه : أن هذه مدينة دينية . . مدينة مقدَّسة ، إذن يسلِّمها رجال الدّين (. . .) .

واجتمع رجال الدِّين (. . .) في الكنيسة وقرَّروا أن يذهبوا هم لملاقاة « المنتصر » بدلاً من أن يصل هو إليهم . وخوفاً من أن لا يرى « الأعلام البيضاء » الصغيرة التي يحملونها إقترح أحدهم أن « يكفّنوا » أجسادهم « بشراشف » بيضاء كبيرة تغطِّيهم ، وكتبت وثيقة الاستسلام بدون قيد أو شرط ، ولبس رجال الدين (. . .) هؤلاء أكفانهم ، ثم مشوا ، في موكب خاشع ، لملاقاة القائد الإسرائيلي في منتصف الطريق . . وعندما وصل إليهم القائد ، أخذ منهم الوثيقة بلا مبالاة ، ثم تركهم هناك بحراسة جندي مسلح ، ثم تابع تقدّمه ، ولم يفرّج عنهم إلاَّ بعد أن ارتفع علم إسرائيل على كنيسة المهد ، وعلى كل مكان ، أي بعد

ساعات طويلة[1] .

●

وهذا ما يفعله الخواء من الإيمان . فماذا يفعل الإيمان في مثل هذا الموقف ؟

في إحدى الحروب التي خاضها رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) استهدف الأعداء حامل راية الرَّسول ـ وهو جعفر الطيار ـ ، وكان القصد من وراء ذلك إسقاط الرَّاية من يده ، الأمر الذي كان يعني ـ يومئذ ـ هزيمة الجيش كلِّه . .

وأخترق طابور من الأعداء صفوف الجيش ودار حول حامل البيرق ، فحمل عليهم بيد ، بينما أمسك الرَّاية بيد أخرى ، فأسقط الأعداء يده اليمنى فأمسك الرَّاية بيده اليسرى ، بينما وضع يده المقطوعة ، التي بقيت معلَّقة بالجلد ، تحت قدمه وقطعها . ثم أسقطوا يده اليسرى ، فحمل الراية بما تبقى من يديه المقطوعتين ، وكانت تنزفان دماً . .

وعندما ضربوا على كتفه ، أمسك الراية ، بزنده

(١) « الحوادث » عدد ١٨٣ تاريخ ٩/حزيران/١٩٧٢ .

واسنانه ، وظل يدور حول نفسه ، حتى أتاح لرفـاقه أن يمزِّقوا الطابور المهاجم ، وينقذوا الراية من السقوط !

●

أنَّه الإيمان . ولا شيء وراء الإيمان

للمعصية
ردة فعل أيضاً

عنـدما يـرمي الإنسـان بنفسـه من الـطابق الأوَّل من عمارة ما ، فأنَّ الذي يحصل له هو : جروح في رأسه ، وكسـور في رجليـه ، و ـ ربما ـ تداخـل فـي قفصـات صدره . .

وعنـدما يـرمي بنفسه من الـطابق الثـاني فـإن الـذي يحصل له هو : مزيـداً من الجروح في الـرأس ، ومزيـداً من الكسور في الرّجلين ، و ـ ربما ـ مزيـداً من التداخـل في قفصات الصدر . .

وعندما يرمي بنفسه من الطابق الرابع ، أو السابع ، فإن الذي يحصل له ليس أقل من تلاشي المـخ ، وتحطم العظام ، ومهاجرة الروح للجسد . .

تلك هي سنة الله في الإنسان والأرض والحياة . فالله خلق جسم الإنسان مرناً بحيث يتمزق فور تلاقيه بشكل عنيف مع شيء صلب كالأرض . كما خلق الأرض صلبة إلى درجة أن باستطاعتها أن تصدى أي جسم مرن فتمزقه . .

وإذا تعرض أحد لسُنَّة الله هذه ، وتعدَّاها ، فأنَّ نصيبه سيكون نصيب من يرمي بنفسه من الطابق السابع : الموت : بعد تمزق أعضاء الجسم .

إنَّ هذا قانون وضعه الله للأرض والإنسان وعلى من يريد العيش الهنيء أن يلاحظه حتى لا يصطدم به ويتلاشى . .

والأمر لا ينحصر في « الرّمي بالنفس من الطابق السابع » ، وإنما يتعداه إلى تغليف كل جوانب الحياة به . .

وهذا القانون ، هو ما يعبّر عنه بقانون « ردّ الفعل » وهو عام وشامل ، لأنَّ كل خطوة من الإنسان يقابلها ردّ فعل ، يساويها في القوة ويخالفها في الاتجاه . .

ولأنَّه قانون « عام وشامل » فإنه لا يختص بالاشياء

الجـامـدة ، بـل يعمَّ الإنسـان ، والمجتمـع ، والحـركـة والسكون ، رغم أن أكثر النـاس لا يعرفـون منه إلاَّ مـا يـرتبط بأشيـاء الحياة ، فهم يعـرفـون ـ بـلا حـاجـة إلى التعلّم من أحد ـ أن قطعة الحجر المعلقة بخيط رفيع إذا ما سُحب من اليمين ، فأنَّه سيتعدى الوسط الـذي كان فيـه باتجـاه اليسار ، بمقـدار ما سحب من اليمـين ويظل يترنح بين الطرفين بشكل متساو ألى أن يعود إلى وضعـه الأول . .

وهم يعـرفون أيضـاً : أن الزجـاج سيتحطم فـور أن يرمي به الإنسان على الأرض . .

هذا ما يعرفه الناس من هذا القانون .

ولكن الـذي لا يعرفـونـه ، أنَّ هـذا الأمـر لا يختص بالجماد ، ولا يختص بالنبات ، ولا يختص بالنفس ، ولا يختص بـالفرد ، ولا يختص بـالمجتمع . . بـل يعم كـل ذلك . .

فحتى المرض البسيط الذي يلمُّ بك، فأنه نتيجة « ردّ الفعل » . وعلاجه أيضاً يأتي عن طريق « ردّ الفعل » . فالميكروب يدخل الدَّم ، فيرفع الدَّم ـ كـرد فعل لـوجود

الميكروب ـ من درجة حرارته ، ويأتي العلاج من خلال تزريق المريض بميكروب المرض نفسه ، ولكن بعد تضعيفه ، حتى يفرز الدم مادة مضادة ـ كرد فعل ـ له . .

وهكذا فأن الحياة كلّها تدور على قاعدتين :

الفعل وردّ الفعل . .

وكما في الجسد الإنساني كذلك في الروح الإنسانية ، وكما في الفرد كذلك في المجتمع . . فإن هناك أشياء معينة تشبه الميكروب من ناحية أن لها آثاراً معينة تؤدي إليها ، لأن المجتمع المتماسك لا يستطيع أن يتحملها لشذوذها عن طبيعة الإنسان والحياة . . وهذه الأشياء هي « المعاصي » . .

ان الحياة تسير وفق قواعد خاصة ، نعرف بعضها ، ولا نعرف أكثرها ، وأي خرق لهذه القواعد سيؤدي إلى مرض إجتماعي ، أو فردي معين .

وتماماً كما أن محاولة خرق قانون الجاذبية أو تحديها يؤدي بالإنسان إلى الموت ، كذلك محاولة خرق قوانين الحياة الروحية ، والمعنوية فانها تؤدي إلى الموت

الاجتماعي ، في مكان ما منه .

وخرق قوانين الحياة الروحية يتم عن طريق « المعاصي » . .

والمعاصي تنقسم إلى قسمين :

الأول ـ معاصي فردية . ونتائجها تكون عادة شقاءاً فردياً . .

مثلاً : استعمال المخدر ، ينتهي إلى نتيجة إنحلال جسم الذي يدمن عليه . .

ومثلاً : العادة السرية ، فانها تنتهي إلى نتيجة إنهيار من يرتكبها عصبياً وفكرياً . .

ومثلاً : الكذب ، فانه ينتهي عادة بالكاذب إلى السقوط في الحياة . .

وهكذا فان المعصية الفردية ، يقابلها رد فعل فردي مساو لها في القوة التدميرية ، وتقابلها في الاتجاه . .

ونعني بالاتجاه ، هو إتجاه المصلحة الفردية المتوخاة .

مثلاً : الذي يستعمل المخدر من أجل الهروب من المشاكل ، سيكون نصيبه من ذلك تحول المخدر بالنسبة إليه إلى مشكلة . .

والذي يستعمل العادة السرية ، من أجل الحصول على لذة جنسية ، سيكون نصيبه من ذلك الحرمان من لذة الجنس ، بعد إنهيار جهازه الجنسي . .

وهكذا . .

الثاني ـ المعاصي الإجتماعية . ونتائجها تكون عادةً شقاءاً إجتماعياً .

مثلاً : مخالفة الله في القضايا الاجتماعية ، فانها تؤدي إلى فوضى إجتماعية ، وتمزق إجتماعي .

وكمثال على ذلك فان مخالفة الله في ارتكاب الزنا ، ستؤدي إلى تمزق العائلة ، ومن ثم بروز مشكلة الأولاد غير الشرعيين ، والفتيات المومسات .

والأمر لا يختص بالجرائم ، وإنما يتعداها إلى كل شيء حياتي فالإبتعاد عن تعاليم الله مثلاً في السياسة والإجتماع سيؤدي إلى تكوي المجتمع بنيران السياسات الفاسدة ، والخضوع لقواعد إجتماعية فاشلة . .

وهكذا . . فان المعاصي الإجتماعية تكون ذات مفعول إجتماعي معاكس . فكل ما يصيب المجتمع لابد أن يكون بتأثير معاصي ـ سابقة أو معاصرة ـ وان

كان الناس لا يحسُّون بذلك .

فالمجتمع الذي يسمح للشباب أن يقلّد الميوعة والإنحلال لابد أن ينتظر ظهور : الميوعة ، والتمرد والرفض من قبل جماعات الشباب . .

وليست الفوضى التي يحدثها الشاب في مختلف بلاد العالم إلا نتيجة معاصي إجتماعية إرتكبها الآباء أو الأمهات ، ولابد أن يعالج المسؤولون تلك المعاصي قبل أن يعمدوا إلى نتائجها السيئة . .

وكذلك المجتمع الذي يسمح للفتيات بالظهور أمام الرجال في استعراض شامل للسيقان ، والنهود ، لابد أن ينتظر ظهور : علاقات غير مشروعة بين الفتيات والأولاد ، وظهور مجالس تبادل الزوجات ، وفرار الفتيات بشكل جماعي . . الخ .

لماذا ؟

لأن الرد الفعل الطبيعي لاستعراض السيقان العارية هو إسالة الشهوة في أعماق الشاب ، ومن ثم تعرضه لصاحبة الساق في صورة : اختطاف مشروع (. !) أو علاقة غير مشروعة ، تماماً كما أن الرد الفعل الطبيعي

لإهمال قطعة اللحم الجيدة في ردهة البيت هو إثارة الجوع في أحشاء القطة ، ومن ثم قيامها بسرقة اللحم . .

وهكذا في القضايا السياسية ، والإقتصادية فالذين ينسلخون من الصواب يقعون في الخطأ ، ومن لم ينفعه الحق أضره الباطل - كما قال الإمام علي (عليه السلام) .

مثلاً : الذين يتفرقون عن قياداتهم الدينية الأصيلة في الحياة ، لابد أن يبتليهم الله بقيادات زائفة تسخرهم من أجل مصالحهم الخاصة .

وكما يقول الله :

﴿ ومن أعرض عن ذكري فإن له معيشة ضنكا ﴾ .

« يقال أن الطاغية بختنصر عندما إحتل بلاد همدان - من إيران - جمع الناس وقال لهم :

- سأطرح عليكم سؤالاً واحداً فان أجبتموني بجواب صحيح عفيت عنكم . وإلا وضعت فيكم سيفي هذا حتى أسقي آخركم بكأس أولكم .

« ثم طرح عليهم السؤال التالي » :

« - أجيبوا : من سلطني عليكم : الله ، أم أنا ؟

« وكان يرجو أن يسمع منهم أحد الجوابين » :

« الله » أو « هو » .

فـإذا كان الله هـو الذي سلَّطه عليهم ، فـإذن يكون كل ما سيقوم عليه نابعاً من إرادة الله .

وإذا كان هو الذي سلَّط نفسه ـ بنفسه ـ عليهم فأنـه لا يمكن أن يقف أمامه أحد .

« ولكن . . بـدل أن يسمـع منهم أيـاً من الجـوابـين سمـع منهم كلامـاً آخر ، فقـد وقف شاب عليـه ثيـاب الرعاة وقال له :

« ـ أيُّها السلطان : لا الله هو الذي سلَّطك علينا ولا أنت . وإنما نحن !

وأضاف :

« ـ أنت لم تكن تستطيع أن تدخل بـلادنا ، إلا بعـد أن تفـرَّقنا عن قيـادتنا . وكـان طبيعياً بعـد تفـرقنـا عن الطيِّبين أن يأتي خبيث مثلك ليتأمَّر علينا[1] .

إذن : فـان التفرق عن القيـادة السياسيـة الصحيحة سيكـون لـه « رد فعـل » طبيعي هـو : تسلُّط القيـادات الفاسدة على الشعب .

---

(1) « لكي لا نموت مرَّتين » للمؤلف ص٢٢ .

وكذلك في الإجتماع . والإقتصاد . والتربية . وكل نظام حياتي آخر .

●

إن الإنسان عندما يقرأ التاريخ ، يستطيع أن يعرف مدى سرعة « ردِّ الفعل » الإجتماعي ، والسياسي الذي تعانيه الأمم بسبب أخطائها وحماقاتها ، فما من أُمَّة ارتكبت معصية إلا وأصابها الذل ، والفوضى كردٍّ فعل لذلك . .

وما من أُمَّة سكتت على معصية إجتماعية أُرتكبت فيها ، إلا وجائها العقاب في شكل أمراض إجتماعية تبتدأ ولم تنته .

والتاريخ هنا أكبر شاهد . . فروما سقطت لأن الشعب سقط في حمّى الجنس . . وخط « ماجينو » الشهير تمزق أمام هجمات الألمان لأن الجيش الفرنسي كان مصاباً بأمراض السيلان والزهري نتيجة الحرّية الجنسية . .

وفي تاريخنا نجد أن الأمة الإسلامية عندما تخلت عن التزاماتها تجاه قيادة الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام)

إبتليت بقيادة معاوية . وعندما تخلت عن الإمام الحسين أصيبت بنكبة يزيد .

وعندما تخلت عن الامام زين العابدين ، مزّقها الحجاج بن يوسف الثقفي . .

ان كل القيادات الزائفة التي ظهرت على مسرح الساحة الإسلامية ، كانت ردود فعل لجرائم إجتماعية إذ لو كان المجتمع متمسكاً بقيمه لما برز فيه أيّ مفسد لأن المفسدين لا يمكن أن يجدوا طريقهم إلى السطح لولا تهيئة الأجواء لهم ، تماماً كما أن ميكروبات الأمراض لا يمكن أن تطفو داخل الجسم لولا إنحلال الجسم ، وانعدام مقاومته . .

ان المجتمع عندما يرتكب الجرائم الإجتماعية ، يكون عذابها ـ بالطبع ـ الجرائم الإجتماعية .

إذ كما يقول الامام علي (عليه السلام) .

« كما تكونوا يوّلى عليكم » .

يقول الله تعالى :

« الظالم سيفي أنتقم به من أعدائي وأنتقم منه » . .

ولا يعني ذلك أن الله هو الذي يفرض الظالمين على

رقـاب الناس ، وإنما يعني أن إبتعـاد النـاس عن الله ، وتحولهم من أصدقائه إلى « أعدائه » يؤدي بهم إلى بـروز الـظالمـين وتسلقهم مراكـز الحكم . . ومن ثم الإنتقـام منهم . .

وهل القضية بحاجة إلى أمثلة ؟

يقول الحسن البصري :

سمعت سيدي ومولاي أمير المؤمنين (عليه السلام) يتأوه من أصحابه قائلاً :

« الَّلهم . . أئتمنتهم فخانوني . ونصحتهم فغشوني . الَّلهم فسلِّط عليهم غلام ثقيف يحكم في دمائهم وأموالهم بحكم الجاهلية » .

ومر الزمان . .

وقُتل الإمام علي (عليه السلام) بيد واحد من معاصريه . . ثم قُتل بعده الإمام الحسن ، والإمام الحسين ، وبرز على العرش رجال وسقط رجال حتى جاء « غلام ثقيف » الذي ذكره الإمام علي (عليه السلام) ـ وهو الحجاج بن يوسف الثقفي ـ إلى العرش . وكان الوقت : بعد مقتل الإمام الحسين

بسنوات عديدة . فابتدأت عمليات القتل والسحل والإعدام تتماوج في طول البلاد الإسلامية وعرضها . .

تُرى من كان يرتكب تلك الأعمال ؟

الحجاج ؟

لا . وإنما الناس أنفسهم ، لقد حكموا على أنفسهم بذلك يوم تخلوا عن الإمام علي (عليه السلام) ، ويوم خذلوا الإمام الحسن ، ويوم قاتلوا الإمام الحسين (عليه السلام) .

إنهم تحولوا من أصدقاء الله إلى أعدائه ، فسلّط الله عليهم نتائج أعمالهم العدائية وكان . . الحجّاج .

والحقيقة الكونية تقول :

« لا ينقطع المزيد من نعم الله حتى ينقطع المزيد من الشكر من العباد[1] » .

والشكر هنا يعني الشكر العملي . . يعني طاعة الله . كما أن قطع المزيد من النعم ، يعني الابتلاء بالجرائم ، والسقوط في المظالم الإجتماعية .

---

(١) « ألف باء الإسلام » ص٢٢٢ .

وقد كان إنقطاع الشكر العملي من دنيا المسلمين سبباً لسقوط الحكم بيد الحجاج . . فماذا فعل الرجل بهم ؟

ان الظالمين في أية أُمّة لا يحدثون دمامل ـ كما قد يظن البعض ـ وإنما يفجرون الدمامل التي تملكها الأمّة . ولذلك فان جروح الأمة ليست بفعل الظالم ، وإنما هي جروح سابقة يكشف عنها الظالم . .

وهذا ما فعله الحجاج :

فعندما دخل الكوفة ، كوالٍ من قبل الخليفة الأموي ، عبد الملك ، أخذ معه أربعة جلادين فقط . وأمرهم قبل دخول الكوفة ، أن يقفوا شاهرين سيوفهم عند بوابات المسجد ، وأن ينفذوا أوامره بلا مبالات مطلقة .

ثم دخل المدينة ، وعلى وجهه قناع يستر وجهه فطلب من الناس أن يجتمعوا في المسجد . واجتمعوا للإستماع إلى الوالي الجديد .

وصعد المنبر ثم قرأ رسالة عبد الملك هكذا :

« أيُّها الناس السلام عليكم ورحمة الله » ثم سكت . . ثم قرأ العبارة مرة أخرى ، وسكت . كان

ينتـظر من الناس أن يسمـع الجواب عـلى سلام الخليفـة ولكن من دون جدوى . .

وفي المرة الثالثة أزاح القناع من وجهه ، وقال :

أنا ابن قنا وطلّاع الثنايا

متى أضع العمامة تعرفوني

وبإزاحة القناع ، عرفه الناس [illegible] كانت له سوابق رهيبة ، ثم قال :

ـ ويلكم أمـير المؤمنـين (!) يبلغـكم الســلام ولا تجيبوه ؟

فوقف الناس إحتراماً للخليفة ، وأجابوه :

وعليك السلام . . وعلى أمير المؤمنين السلام . . .

ولكن الحجاج استمر في كلامه :

ـ اسمعوا . . ايها الناس إن عليكم أن تجهّزوا جيشـاً للأهواز . . » . وسكت . .

قـام جمـع من الشبـاب واعتـذروا فقـال للجـلادين ـ الذين كانوا ينتظرون أوامره بشغف ـ :

« إضربوا أعناقهم » . وبعد لحظات كانت الـرؤ وس تتطاير في الهواء . .

ثم قام جمع من الشيـوخ واعتذروا . فـأمر الجـلادين

فضربوا أعناقهم .

ثم قال الحجاج :

ـ ألا وإني أرى رؤ وساً قد أينعت وحان قطافها

أتريدون أن تصنعوا مع الخليفة عبد الملك ، ما فعلتموه مع علي ، والحسن ، والحسين .

وأضاف : ايها الجلادون اضربوا اعناق من يحاول الخروج من المسجد . . وارتفعت السيوف « تقطف » الرؤ وس التي « أينعت » ، والحجاج من على المنبر يهلِّل ويكبّر ويشجع الجلادين على « القطاف » . !

●

ومر الزمان .

وخضع الناس للحجاج .

وأصبح الرجل إلهاً جديداً يحكم ما يشاء ، ويفعل ما يشاء ، بلا رادع ولا مانع . . وكان على الناس أن ينفذوا ما يقول كرد فعل لتقاعسهم عن الإمام علي والإمام الحسن والإمام الحسين .

وحدث مرةً أن سمع الحجاج ـ وهو على شرفة قصره ـ رجلاً من المارة يقول :

الله أكبر . الله أكبر .

فدعاه الحجاج . وعندما مثل أمامه جرى بينهما الحوار التالي :

ـ : أين كنت ؟

ـ : في المسجد .

ـ : ماذا كنت تفعل ؟

ـ : أصلّي العشاء .

ـ : وإلى أين كنت ذاهب ؟

ـ : إلى البيت .

ـ : ماذا كنت تقول ؟

ـ : لم أقل شيئاً .

ـ : بلى قلت !

ـ : لم أقل شيئاً .

ـ : بلى قلت : الله أكبر !

ـ : نعم قلته .

ـ : ماذا قصدت من قولك ؟

ـ : لم أقصد شيئاً : إنما قصدت معنى « الله أكبر » .

ـ : لا . لابدَّ أنك قصدت شيئاً آخر !

ـ : لا . لم يكن لي أي قصد آخر .

ـ : انك قصدتَ التهريج ضدنا . أليس كذلك ؟

ـ : لا والله .

ـ : لا ينفعني الحلف الكاذب !

ـ : بحقك علينا لم أقصد شيئاً .

ـ : إن إصرارك دليل على قصدك الفاسد .

ثم أمر جلاّديه أن يحبسوه تلك اللّيلة وينكِّلوا به في الصباح على باب المسجد .

. . . .

وفي الصباح رأى الناس عند باب المسجد أربعة جلاّدين يجردون الرّجل من ثيابه ، ويطوفون به مركوباً ـ بشكل معكوس ـ على الحمار . وعند الظهر أوقفوه على باب المسجد . وأمام مرأى الناس تقدَّم إليه إثنان من الجلادين ، وشدّوا جبهته بالجدار ، ثم أخرجوا فكه الأسفل ـ الذي تحرّك بكلمة الله أكبر ـ ثم كسروا عظام وجهه وجمجمته بالفؤوس ، ثم قطعوا رأسه ، وعلَّقوا المتبقي منه على باب المسجد . .

ترى من فعل به ذلك ؟

الحجاج ؟

لا . فالآمر كان هو الحجاج ، أمّا الذي ارتكبه فكان

الناس أنفسهم ، لأنهم بتضييعهم المقاييس ، أنبتوا الحجاج وأمثاله ، وبتقاعسهم عن نصرة الحق وأهله ، فتحوا للحجاج الطريق إلى العرش ، وكان عليهم أن يقبلوا أحكامه ، لأنها نتائج أعمالهم . .

●

عشرون شاباً بريئاً وضعهم الحجاج في السجن وأمر أن تسد في وجوههم منافذ النور والنهار . حتى لا يميزوا اللّيل عن الصبح ، كما أمر أن لا يطعمونهم الطعام إلاَّ بعد مزجه بالرمال ، وأن لا يسقونهم الماء إلاَّ بعد خلطه بالطين . .

فمات أحدهم . فرفض الحجاج أن يخرجوا جثته حتى تفسخت ، فمات الثاني ، والثالث ، والرابع ، والخامس ، إلى الرجل السادس عشر . وأخبروا الحجاج بذلك ، فلم يأذن بإخراج الجثث ، وإنما أمر أن يهدموا السقف عليهم ليتحول السجن إلى مقبرة لهم ، وليموت الأربعة الباقين مع رفاقهم . .

●

دخل موظَّف ضرائب من قبل الحجاج على ملاَّك من

الملاكين وطالبه بالزكاة ، فقال له الرَّجل :

« ليس عنـدي زكـاة ، لأنَّ مـاشيتي مـاتت بفعـل البرد » .

فـرجـع المـوظَّف إلى الحَجَّاج ، وبـدل أن يخبـره بـالحقيقـة ، فقـد ذكـر لـه أنّ الـرجـل يـرفض الإيمـان بالزكاة . .

واستغل الحجاج الموقف وأمر بإحضاره ، وقال له :

ـ كيف لا تؤمن بالزكاة ؟

وقال الرّجل : والله انَّني مسلم ، ولا يسع المسلم أن لا يؤمن بالزكاة . . فقال له الحَجَّاج :

إذن كيف قلت انك لا تؤمن بالزكاة .

فقال الرّجل : لم أقل ذلك ، إنما قلت له ليس عندي ما يتعلق به الزكاة . .

ولم يقتنع الحجاج . فقال للرجل :

لابـدَّ أن يكـون لـك قلب أكبـر من قلوب الآخـرين ولهذا تجرأت على ردّ كلامي . .

ثم صاح أيها الجلاد أخرج لي قلبه . .

وبعد لحظات كان النطع ينتـظر الرّجـل . حيث شدَّوا يـديـه ، وربـطوا رجليـه ، ثم مـدُّوه وشقـوا صـدره ،

وأخرجوا قلبه ، وقدَّموه إلى الحجاج .

كان القلب لا يزال يضطرب . . ولما أخذه الحجاج ضحك ضحكة هادئة ثم قال :

لا . . لا لم يكن قلبه كبيراً . ردُّوا إليه قلبه وادفنوه .

●

والحَجَّاج لم يكن النموذج الوحيد الذي ظهر في التاريخ للمرة الأولى والأخيرة ، وإنما هو شخصية يمكن أن تعود في أي وقت ، بمجرد أن تصبح الظروف مماثلة لظروف الحَجَّاج .

ولقد تكررت هذه الشخصية في مناطق عديدة من العالم ، قبل الحجاج وبعده ، ويمكن أن تتكرر الآن وبعد الآن .

●

وهكذا نرى : أن أية معصية ـ فردية أم إجتماعية ـ يقابلها ردّ فعل تساويه في القوة وتخالفها في الإتجاه . .

قواعد السلوك السليم

* ١ *

تحوَّل الى مربي نفسك

بإمكان كل إنسان أن يساهم في رفع مكانته ، بشرط أن يتحوَّل من عبد لرغباته وشهواتـه إلى أُستاذ لنفسـه ، فيسيطر على ذاتـه ، ويخلق منها شخصيـة رسـاليـة ذات تأثير على الآخرين . .

فالذي يقدر على نفسه هو وحده القادر عـلى الآخرين وبالعكس فأنَّ من لا يقدر على نفسـه يستحيل عليـه أن يؤثر في الآخرين . .

والآن . . فـأنَّ عليك أن تـطرح على ذاتـك السؤال التالي :

هل أنا أُستاذ ذاتي أم تلميذ شهواتي ؟

فإذا كنت حتى الآن منساقاً مع رغباتك فان عليك أن

تحـاول تـربيـة نفسـك عن طـريق « الإنتبـاه الارادي» ومراقبة الذات ومحاسبتها ، فسرعان ما تجد كأن معجـزة تحققت في نفسك . .

ومع أن مراقبة الذات ، ومحـاسبتها قـد لا تترك أثـراً عـاجـلاً في بعض الأفـراد ، لكنّهـا ستتـرك حتـماً الأثـــر الكلي ، في المدى الطويل .

ولهذا فان الإسلام يأمر بذلك قائلاً :

« ليس منّا من لا يحاسب نفسه كل يـوم ، فان عمـل سوءاً استغفر الله وتـاب إليه . وإن عمـل حسناً إستـزاد منه » .

من هنا فان من الضروري جداً أن تعـيّن وقتاً محـدداً كل مساء تراجع فيـه مواقفـك وسلوكك خـلال النهار ، ثم تحاول مجانَبة كل ما ارتكبته ممّـا يخالف الخلق الكـريم في اليوم التالي .

وهكذا التمرين البسيط يكفـل لك مـراقبة الـذات ، ويحوِّلك بالتدريج إلى أُستاذ لنفسك .

كما أنّه يحذف أكبر عقبة في طريق محاسبة النفس أعني بها الإرتجال في خلق المعـاذير وخـداع الذات عن طـريق

إلقاء التبعة على الآخرين ، أو على الظروف ، بينما ليست هي إلا تبعات تتحملها أنت . .

إن الذين يعزمون ـ بصدق ـ السيطرة على الذات يرفضون الأعذار الفارغة التي يبرّر بها المنساقون وراء شهواتهم ، مواقفهم وعجزهم مثل :

« لم أستطع أن أمتلك نفسي » .
« لقد منعتني الظروف » .
« فرضوا عليَّ ذلك الموقف » .
« لقد دُفعت إلى ذلك دفعاً » .

وإنَّما يواجهون أنفسهم بشجاعة قائلين لها :
« أنا لم أشأ ذلك » . .
ثم يوطدون العزم على ملافاة موقفهم السابق .

يقول علماء النفس : ان أفضل طريقة للتخلص من العادات السيئة هو تحليل النفس لذاتها في غير محاباة أو مؤاربة . وهم يقدِّمون ، لمن إعتاد على سلوك غير نزيه ، النصيحة التالية :

لا تخف من مواجهة نقائصك وعيوبك ، فهذه المواجهة أفضل ما لديك للتخلص من العيوب

والنقائص ، إنها شرط أساسي للسير في معراج الكمال . ولكن يجب الحذر من تضخيم النقائص أو المبالغة فيها ، واعلم أن كل النقائص يمكن إزالتها ، فليست هناك صفة مذمومة إطلاقاً لا يمكن التخلص منها . .

ان إمتحاناً دقيقاً واعياً نزيهاً كهذا تمتحن به نفسك بين وقت وآخر يفضي بك إلى إنعاش الحياة الداخلية ، وتركيز أفكارك حول نفسك وهذا كفيل بتنمية قدرة « السيطرة على الذات » فيك . .

وهنا لابدّ أن نذكر أهمية الإيحاء الذاتي في خلق سلطة الإنسان على نفسه .

فالذين يريدون إمتلاك صفة معينة ، أو يريدون كنس خلق ذميم ، أو تصليح سلوك منحرف يجدون في الإيحاء الذاتي خير معين لهم إلى ذلك . .

والإيحاء الذاتي لا يعني مجرد التلفظ بما تريده وإنّما يعني التحدث مع النفس أكثر من التلفظ .

فإذا أحرزت السيطرة على ذاتك ، واطاعة الله ، والتخلق بالنبل والشجاعة ، والإقلاع عن الخمود

والكسـل ، فان عليـك أن تكرر مـع نفسك كـل صباح هذه الكلمات :

أنا مسيطر على نفسي

أنا مطيع لله

أنا سأكون طيباً

أنا شجاع

أنا لن أكون خادماً كسولاً .

ومع مرور الأيام فان كل ذلك سيتسمَّـر في كيانـك ، ويطبع سيرتك الخاصة والعامة به ، ويتخذ صفة القانون الذي يحكم تصرفاتك .



* ٢ *

الصفات النبيلة ضمانة النجاح

الذين نجحوا في التاريخ ، كانوا جميعاً ، يتصفُّون بالصفات الإنسانية النبيلة ، فالروح الصادقة الصافية ، تترك أثراً حسناً في المجتمع الذين يعيشون فيه ، وبمرور الزمن يعشق المجتمع صفاتهم النبيلة ، ويتجه من غير شعور منه إلى تقليد تصرفاتهم . .

انَّ الذين يعيشون حول شخصية قيادية نبيلة يندهشون غالباً عندما يبتعدون عنه ، إذ يجدون أنفسهم « مقلدين » إجبارياً ، لأفعال تلك الشخصية .

والسؤال الآن هو : كيف تملك صفات نبيلة ؟

قبل كل شيء لابد ان تعرف أنه من دون أن تريد بجدية إمتلاك صفات نبيلة ، لا يمكن أن تحصل عليها . .

فالمهم هو أولاً « الإرادة الجدية » . فكل العظماء ، والعلماء ، والأدباء ، الذين ذكرهم التاريخ بالإكبار والتمجيد ، كانوا قبل أي شيء دون إرادة وكانت إرادتهم ـ كما يذكر المؤرخون ـ العامل الأول فيما حقّقوا وانتهوا إليه من مجد ورفعة وخلود . .

وطبعاً ليست الإرادة الجدِّية وقفاً على قلة من الناس يولدون بها ، ويموتون بها أيضاً . .

فالإرادة أيضاً شيء يمكن إمتلاكه لكل إنسان . ولكنّها لا تتقوى في الفراغ بل لابد من تسليطه على نقطة معينة والتركيز عليها حتى تعتمد على قوتها هناك ، في تقويتها في الأماكن الأخرى .

لنفرض أنك تريد إمتلاك : الصدق . المروءة . العفاف . الكرامة ، لا بأس . . فركِّز كل إهتمامك على الصدق ، وحاول تحقيق إرادتك في الحصول عليه ، وعندما تقوي إرادتك في ذلك إستعملها في تحصيل

المـروءة ، والعفاف ، والكـرامة ، فـأنَّك ستجـد نفسك أمام مهمة سهلة جداً . .

وبـالعكس فانَّـك قد تعرف ذاتـك . . تعـرف عنهـا الشراسة والكـذب ، وحبّ الذات ، ولكنـك تعجز عن معـالجتها وقـد تقول انـك تحاول العـلاج عدة مـرات ، وتفشل فيتولد في لا شعورك إحســاس بأنـك عاجـز عن معالجة أخطاءك ، وملافاة معاصيـك ، ولهذا فـأنَّك كلما تقدم على الإقـلاع عن معصية يـوحي إليك لا شعـورك بأنك فاشل منذ البداية ، وفعلاً فأنت فاشل .

لماذا . ؟

لأنك منهار نفسيـاً قبل أن تبـدأ في المعركـة . معركـة الجهاد مع النفس ، والذي يدخل المعركة ـ أيَّة معـركة ـ بأعصاب منهارة فانه لا يمكن أن يكسبها .

ولكن لو بدأت بالأصغر ، أي بدأت معالجـة المعصية الصغيـرة أو السلوك السيء الأضعف ، وعبَّئت جهودك من أجـل القضـاء عليــه ، ثم بعـد ذلــك عمـدت إلى المعاصي الكبيرة ، أو السلوك الأكـثر إستحكامـاً فيك ، فانك ستنجح في ذلك ، ويتولد في لا شعـورك إحساس

بقدرتك على معالجة ذاتك ، والقضاء على عاداتك السيئة . .

وهكذا نجد ان الطريقة المثلى في الإقلاع عن العادات السيئة والمعاصي ، ليست بالتصميم على تركها مرة واحدة وإنما هي بالتدرج فيها ، بعد تقوية الإرادة بها .

وربما كان هذا هو الأسلوب الذي اتبعه الرسول الأعظم مع ذلك الرجل الذي قال له :

« يارسول الله إنهني عن معصية واحدة أتركها ، فاني لا أقدر على ترك كل المعاصي » .

فقال الرسول الأعظم (صلى الله عليه وآله وسلم) : أصدق ولا تكذب .

وكان الرجل كما يبدو يرتكب أكثر المعاصي ، وقد إعتاد عليها ، وكانت كلّها من النوع المستحكم فيه بينما كان « الكذب » أضعف العادات السيئة فيه ، وعندما أقلع عن الكذب إستطاع أن يقلع عن كل المعاصي بما فيها الزنا . .

لماذا ؟

لأن إرادته « تقوّت » بالقضاء على الكذب وعندما

عمد إلى المعاصي الأقـوى ، كانت إرادتـه على مستـوى المعصية ذاتها ، فقضت عليها . .



* ٣ *

أنت فوق ما تتصوَّر

في كـل إنسان مخـزون هـائـل من الـطاقـات . . ولا يعرف هذه الطاقات إلَّا من يستغلها .

فأنا وأنت يمكن أن نصبح من أقدر خطباء التـاريخ ، وأكبر رجاله ، وأعظم كتَّابه ، وأكـثر الناس تـأثيراً عـلى مجراه .

ولكن كـل ذلك يحتـاج إلى بذل جهـود ، وهـو حتـماً ممكن .

إنَّ العلم الحـديث اكتشف أن أعـظم الـرِّجـال لم يستغلوا من طـاقـاتهم ســوى ٩٪ فقط ، وأن ٩١٪ من طاقاتهم تبقى معطَّلة .

هـذا في العظماء ، من العبـاقـرة والسيـاسيـين وكبـار المؤلفـين ، أمّـا الآخـرين فـانهم قـد لا يستغلُّون سـوى $\frac{1}{2}$ و٪ من طاقاتهم . .

والسؤال الآن هـو : لمـاذا يهـدر النـاس طـاقـاتهم ؟ وكيف تُهدَر ؟

والجـواب : إنَّ الذي لا يعـرف قيمة نفسـه يمكن أن يـذبحها بسهـولة عـلى صخرة الجهـل . فأنت الـذي لا تعرف أن بإمكانك أن تقوم بدور كبـير في حياة أُمَّتـك ، ستهـدر طاقـاتك كلهـا من أجـل دكـان بسيط أو قضيـة حقيـرة ، ظانـاً أن القيـام بـأدوار كبيـرة هـو خـارج من قدرتك .

وهكذا تقتل ذاتك بجهلك بقدراتك .

يقول الإمام علي (عليه السلام) :

« هلك امرءٌ لا يعرف قدره » ويقول :

« لا تقولنَّ فلان أولى بفعل الخير منيٍّ ، فانَّه سيكـون كذلك . . » .

* ٤ *

إختر قدوة حسنة

كـل إنسـان يتـأثـر بـالإشخـاص الأقـويـاء الـذين يصادقهم ، أو يقرأ عنهم . .

فإذا كان الشخص الذي يتأثـر به ، ذا صفـات نبيلة فـلا شـك انـه يصبـح بمـرور الـزمن صـاحب صفـات نبيلة . . والعكس بالعكس . .

من هنا فإن إختيار القدوة ، ضروري من أجل محاولة الإرتفاع في سلّم الحياة . .

فمن تختار في قدوتك ؟

إن الأنبياء هم خير قدوة . ويأتي بعدهم الأئمة ويأتي بعد الأئمة حواريهم . .

ومطالعة حياة هؤلاء ـ أو على الأقل ـ واحد منهم ضروري من أجل محاولة تقمص شخصيته . .

أن أفضل ما يجعلك طيباً ، قوياً ، حازماً هو أن تطالع سيرة الأبطال الذين خدموا الآخرين ونهضوا بالشعوب ، وكانت أعمالهم كلها تتجه نحو الخير الشامل ، من دون أن يستهدفوا بذلك أية منافع شخصية .

فأنت إذا تدبرت ما يفعله شعور الفرد بإعجاب الناس الذي تحيط الأبطال والشجعان وأصحاب النفوس الطيبة ، وعرفت كيف تخلق في نفسك عاطفة الإحترام لكل من جاهد من أجل الآخرين وقعت على ظاهرة عجيبة ـ كما يذكر علماء النفس ـ وهي إنتقال هذه العواطف من حيِّز العقل الباطن في ساعة الخطر المداهم والظرف العصيب إلى نهار العمل البطولي الرائع . .

من هنا نرى أن كل الشعوب التي استطاعت أن تتعملق في الحياة كانت تحتفظ دائماً بعظماء تجعلهم نصب عينيها ، وتصوغ منهم « قدوات » في كل حركاتهم وسكناتهم . .

ولأنَّ الأنبياء والأئمة ، كانوا يملكون أنبل الصفات ، وأروع السجايا ، وكانت مواقفهم البطولية من أروع ما شاهدت الأرض من مواقف ، فانهم أفضل من يمكن أن يضعهم الإنسان نصب عينيه ، محاولاً الاقتداء بهم في معترك الحياة . .

يقول القرآن الكريم :

﴿ ولكم في رسول الله أسوة حسنة ﴾ .

* ٥ *

الخطوة الأولى .. تجنَّبها

أخـطر ما يـواجه الإنسـان في حياتـه السلوكية ، هـو إستهانته بالخطوة الأولى في الرذيلة . انَّه يفكـر مع نفسـه هـل ستقع كـارثة إذا كـذبت مرةً واحـدة ؟ هل ستسقط السـماء على الأرض ، إن استعملت العـادة السرّيـة مرة واحدة ؟ هل سأصبح ذميم الخلق ؟ إذا أستهنت بإخوتي في الدين ؟

ويأتيه الجواب ـ لا . .

وبـذلك ينسـاق من حيث لا يعرف في التيـار الساقط في الرذيلة .

ويـذكـر علماء النفس في تعليـل ذلـك علميـاً : ان الخـطيئة الأولى مهـما كانت ضئيلة تُضعف ، أضعـافاً ذا

أهمية ومعنى ، تلك القوّة المشرفة التي تدير المناطق العليا من النفس ، حيث يستقرّ « الحكم » وإليها يرجع الأمر في إدارة اللاوعي من بُعد . .

ولذا فإن الذي يريد أن يكون مسيطراً على نفسه تجاه الأشياء المهمة ، والشهوات الحادّة ، يتحتّم عليه أن يسيطر على نفسه في البداية تجاه الأشياء البسيطة وأن يضبط تصرّفاته في الأمور الدقيقة . .

فمن يريد أن يسيطر على نفسه تجاه حالة الزنا ، لابد أن يسيطر على نفسه تجاه النظرة الأولى إلى الفتاة الأجنبية . .

ومن يريد أن يصبح شجاعاً في المواقف المهمة أن يمارس الشجاعة أولاً في المواقف البسيطة .

تماماً كما أن من يريد الإقلاع عن الصفات الذميمة ، أو العادات السيِّئة ، عليه أن يبدأ بأبسطها ، فيقلع عنها ، ثم يتدرج إلى أعلى ، وليس صحيحاً أن يبدأ بأقواها ، لأن العادة البسيطة يمكن إزالتها بسهولة مما يولد لدى صاحبها شعوراً بالسيطرة على نفسه ، وعندما يَعْمد ـ بعد ذلك ـ إلى العادة المتحكمة عليه فانه لن يجد صعوبة

كبيرة في إزالتها . بينما لو عَمَد إلى العادة الأقوى فانه قد يخفق في القضاء عليها مما يولِّد لديه شعوراً بالعجز عن مقاومة عاداته . .

إذن . . فلكي لا تقع في العادات السيئة امتنع عن الخطوة الأولى . .



هذه الرذائل تقتل ذاتك



هنـاك صفات معينـة ، في النفس والسلوك ، عندمـا تعشعش في ذات إنسـان ، فـانَّها تقتــل ذاتـه ، وتقضي عليه من حيث يشعر أو لا يشعر . .

وهي قـد تبـدو بسيـطة ، ولكنهـا كـالنـار ، يمكن أن تحـرق في الفرد روح التفـاؤ ل ، والحـركـة ، والعمـل ، فيعيش معهـا ثـلاثـين ، أو أربعـين عـاماً من غــير أن يستـطيـع إنجــاز أيٍّ شيء . فيـولــد إنسـانــاً ويمـوت حشرة . .

فما هي تلك الصفات ؟

أولًا ـ الجهل .

ان الجهـل داء قـاتـل ، لأنَّـه يتـرك صـاحبــه منغلق الحواس ، ومن ثمَّ فانَّـه ينسج من الخيـال « معلومات »

لا رأس لها ولا ذيل ، وبذلك يُحرَم القدرة على الفعل ، والعمل . .

يقول الإمام علي (عليه السلام) :

« لاغنى كـالعقل ، ولا فقـر كـالجهـل ، ولا ميـراث كالأدب » .

ويقول الإمام الرّضا (عليه السلام) :

« صديق كل امرء عقله وعدوُّه جهله » .

ويقول النبي الأعظم (صلى الله عليه وآله وسلم) :

« العلم حياة القلوب ، يرفع الله به أقـواماً فيجعلهم في الخـير قـادة تقتبس آثــارهم ، ويقتـدي بــأفعـالهم ، وينتهي إلى آرائهم » .

ثانياً ـ الجبن والخجل .

يقول المثل :

فاز باللّذات من كان جسوراً .

ذلـك لأنَّ الجبن عن الإقدام ، يفضي بـالإنسـان إلى التأخر . . وإذا سئلتَ أي ناجح في الحياة أن يحكي لك قصة نجاحـه لرأيت كيف أنَّها تـدور حول نقـطة واحدة هي :

الإقدام . والجرأة في خوض الغمار من أجل الوصول إلى الهدف . .

أما الفاشلون في الحياة ، فانهم ولا شك يعانون من الجبن والخجل . .

فالجبن ، الذي يكون حليفاً للفشل ، يأتي من ضعف الإنسان النفسي . .

وكذلك الخجل .

يقول الإمام علي (عليه السلام) :
« قرنت الهيبة (الخوف من الشيء) بالخيبة (في الوصول إلى الهدف) . » .

ولذلك ورد في الحديث :
« ان الله يحب الرَّجل الشجاع ولو بقتل حيَّة » .

أمَّا الخجل ، فانه آفة تستبد بصاحبها إلى درجة انها تشل فيه المواهب والكفاءات . .

ويمكن القضاء على ذلك بالممارسة . فالجبن لابد من معالجته ، بالوقوع في أيِّ أمر يخافه الإنسان .

وكما يقول الإمام علي (عليه السلام) : « إذا خفت

من أمر فقع فيه » .

أمَّا الخجل ، فيمكن رفعه بالإيحاء بالشجاعة ، والولع بها ، والتمرين عليها . .

فإذا كنت تخجل مثلاً في الخطابة ، فان باستطاعتك أن تتمرن يومياً في مكان لا أحد فيه ، بعد أن تفترض وجود جماهير صاغية إليك . . وبتكرار هذا التمرين ستجد نفسك شجاعاً في مخاطبة الجماهير . ويذكر أن أقدر خطيب في التاريخ ، كان يعاني من تلعثم في لسانه ، فكان من صغره خجولاً ولكنه كان يذهب إلى البحر ، ويفترضه قاعة تكتض بالناس فيخطب لهم ، وهكذا قتل الخجل نفسه . .

ثالثاً ـ الإنسياق وراء الشهوات .

خلق الله في الإنسان شهوات كثيرة ، وجعلها عامل بناء ، وحذَّر من الإنسياق ورائها حتى لا تتحوَّل إلى عامل هدم .

والشهوة مثل برميل البارود ، إذا فجَّرها الإنسان فانَّها ستدمِّر كل ما هو قريب منها بلا تمييز . .

الشهوة ، قد تسيطر على من لا يضرب حولها حصاراً

من الإرادة ، وتنـزلق به إلى درجـة يصبـح عبـداً حقيـراً لها . . وبذلك يهدر كل قدراته ، وإمكاناته .

ويمكنـك أن تتـطلع إلى أيٍّ شـارع حـولـك لتجـد عشـرات من الشبـاب « البـاحثـين عن اللذَّة » كيف يـدمِّـرون حيـاتهم ، ويلهثـون وراء الجنس والسكـر والمخدرات ، والقمار ، بينما باستـطاعة كـل واحد منهم أن يصبـح مخترعـاً عالميـاً ، أو سياسيـاً قديـراً ، أو عـالم فضاء عظيم . .

رابعاً ـ الحقد .

أن تحقد على إنسان يعني : أن تحقد على نفسك . .

فـالحقـد يحملك إلى تـركيـز تفكيـرك وجهـودك ، وإمكاناتك على « عدوِّك » ومن ثم فانك تضحِّي بوقتـك وطاقتك من أجل غيرك . .

ولذلك فانَّ علماء النفس ينصحون الإنسان :

لا تسمح لأحد ـ كـائناً من كـان ـ أن يجرَّك إلى قتـل وقتك وجهدك بحثـاً عن ردّ محكم ، أو جواب مفحم ، أو القيـام بمشـاحنـات لا طعم لهـا ولا جني منهـا ، فـانَّ إجترار الضغائن ، وتوثبات الحقد والكراهية والتأمـلات

السود الناجمة عن غريزة الإنتقام تـوازي جميعها إشـاعة الفوضى في داخل النفس وتقتـل حيويّـة الفكر البنّـاء ، وكـلاهما ممّـا يقرّ عـين الخصم ، فهو يـرضيـه أن تفعـل بنفسك ما لا يقوى غيرك على فعله بها في داخلها . .

ويذكر العلماء : ان الإنسان يرسل ، أو على الأصـح يشِـع ، من ذاته اشعاعات ، خلال الأبعـاد ذات نفـوذ ذهني ، يجعل الأفكار العـدوانية تنعكس عـلى أذهان من نعاديهم ، فنوجد في أنفسهم أفكاراً عدوانية مضادة لنا ، مشابهة لأفكارنا عنهم . .

فنحن قوى تتفاعل فيما بينهـا ، كل واحـد يؤثر عـلى الثـاني ، خيـراً بخـير وشـراً بشــر ، فهنـاك « الفضــاء الفـارغ » الذي يـربط الناس بعضهم ببعض كـما يـربط الأشياء ، ولذلك فنحن أعضاء لجسم واحـد ، ولذلـك فـانّ الفكرة الـرديئة كـالفعلة الشريـرة ليست غير نبضـة أليمة تهتز بين ملايين الملايين من الكيانات العضوية . .

والحقد ، من هذه الجهة ، قوّة ينفقهـا المرء لتحـطيم نفســه بدداً ، لأن الحقـد ـ كما يقـول علماء النفس ـ قـوّة مخربّة .

من هنا قال الرّسول الأعظم (صلى الله عليه وآله وسلم) :

« ماكان جبرئيل يأتيني إلاّ قال : يامحمد أتّق شحناء الرِّجال وعداوتهم » .

وقال الإمام الصادق (عليه السلام) :

« من زرع العداوة حصد ما بذر » .

غير أن ذلك خاص بالحقد على « الأشخاص » أمّا الحقد على « الصفات الذميمة » فهو حقد مقدَّس ، يبني في الإنسان بنيان الخير ، وينمّي في ذاته القدرة على دحض الشرور . . ولذلك ورد في الحديث : « كن عَدِوَّ نفسك » أي عدوَّ صفاتها الذميمة وقاومها في المغريات مقاومة الحقود على الصفة المذمومة . .

خامساً ـ التسرُّع

الهدوء في إتخاذ القرار ، والتفكر قبل ذلك شرط ضروري لصوابية القرار ، والحفاظ على رباطة الجأش . .

ان العجول في الإجابة ، أو اتخاذ القرار ينتهي إلى خسران كل هيبة في النفوس ، ومن ثم إلى خسران

إحترامه لنفسه . .

ودواء ذلـك يكمن في تكوين « عـادة تفكيريـة » يسبق الكلام ، أو اتخاذ الموقف .

ولهذا جاء في الحديث :

« العجلة من الشيطان والتأنّي من الرَّحمن » .

سادساً ـ التشاؤم .

بعض النـاس يصابـون بالتشـاؤم في وسط الطريق ، ولذلك فانهم سرعان ما يتراجعون عن خططهم وبذلـك يخسرون الجهود ، والأوقات بلا مبرّر . .

والمتشائم ، يفوّت على نفسه فرصاً كثيرة تكون متاحة لنجاحه ، أو نجاح خططه ، ولكنه بحكم تشاؤمـه يرى الأشيـاء ، والأشخـاص ـ وربمـا نفسـه أيضـاً ـ في دائـرة سـوداء ، ولذلـك فانّـه لا يستطيـع أن يضـع خـطة إلاَّ للتراجع إلى الوراء . .

انّ كـل الناجحـين في الحياة ، كـانوا يتمتعـون بنظرة متفاءلة إلى العمل ، وإلى المستقبل .

ان كـل الذين شيَّـدوا الحضارات ، إبتـداءاً بالـرسل والأنبياء ، وانتهاء بـالتابعـين لهم ، كانـوا متفائلين ، لا

يكفُّون عن المحاولة في أحلك الظروف ، ولـذلك فـانهم كانوا يجهدون ويعملون ، واثقين من انهم المنتصـرون لا محالة .

ويـذكـر علماء النفس : انَّ أولى جنـايـات المتشـــائم تنصب عليه هو ، حيث يترك التشاؤم على نفسيته آثـاراً سيئة ، ثم تمتد هذه الآثار لتعمَّ الشعب والمجتمع والأمة جميعاً .

وأولى هـذه الجنايـات ـ كـما يـذكـرهـا علماء النفس ـ هي :

« التشويه على العقل » .

فالتشاؤم يمنع الذكاء من التحرُّك ، كما انه يحـول بين العقـل وبـين التفكـير المـوضـوعي ، والحكم السليم . فـالمتشائم يـوحي إلى نفسـه بـآراء خـاطئـة ، يصـوغهـا بالسلبية ، عن الأشخـاص او الحوادث ، فـلا يلبث أن يطبّقها أو يأخذ بها من دون أن يشعر بما فيها من أغـلاط وأخطاء ، ومن يخطأ في اتجاهه يدير ظهـره للهدف ، من غير أن يشعر ، وبذلك يخسره إلى الأبد .

والجناية الثـانية ـ هي انَّ التشـاؤم ينزع بصـاحبه إلى

« إستلذاذ الكآبة » أو « التلذُّذ بالألم » وهو تلذُّذ غير صحّي ، لأنَّه يؤدي بصاحبه إلى الإنطواء على الذات ، وتجميد الفكر ، والتهرب من « الفعل » في الحياةَ ، بالإنفعال الذاتي بالأحداث .

ان المتشائم ، ينمّي في نفسه من حيث لا يعرف ، خَورْ الهِمَّة ، والحقد ، والتخريب ، والغيرة والحسد ، والأنانية .

سابعاً ـ سرعة الغضب .

الذين يغضبون يدمّرون أنفسهم .

تلك حقيقة اكتشفها العلم الحديث ، فالغضب يؤدي إلى فساد الدَّم ، وارتباك الأعصاب ، ولذلك فان الذين يعانون من سرعة الغضب لا يستطيعون أن يسيطروا على أنفسهم ، وغالباً يموتون مبكّرين .

يقول الرسول الأعظم (صلى الله عليه وآله وسلم) :

الغضب يفسد الإيمان كما يفسد الخلّ العسل »

ويقول الإمام الصادق (عليه السلام) :

« الغضب مفتاح كل شر » . ويقول :

« من لم يملك غضبه لم يملك عقله » .

أمَّا الحليم الذي يتحطَّم على صدره جهل الأحمق وحمق الجاهل ، فانَّه ليس فقط يستطيع أن يكسب ودّ الناس حتى أعدائه ، ولكنَّه يستطيع أن يصلح أعصابه ، ويهدأها ، ويتخذ القرارات الصائبة .

يقول الإمام علي (عليه السلام) :

« ليس الخير أن يكثر مالُك وولدك . ولكن أن يكثر علمك ويعظم حلمك » .

انَّ الحليم ، عكس الغضوب ، يفرض إحترامه على الناس جميعاً بمن فيهم من الأعداء ، لأنَّهم لا يملكون إزاء حلمه إلاَّ التواضع له . .

ولذلك قال الإمام الصادق : « كفى بالحلم ناصراً » .

ثامناً ـ التكبُّر .

التكبُّر يعني أن ترى نفسك فوق الناس . وهذه الرذيلة تمنع صاحبها من إمكانية الحصول على مكارم الأخلاق ، كما انَّها تنفّر الناس من حوله .

فـالمتكبِّر ، يفـرض عـلى النـاس التكبـر عليـه ، لأنَّ الـنـاس ليسوا مستعـدين للتواضـع أمـام المتكبـر ، بينـما يجـدون أنفسهم مضـطرين إلى التـواضـع أمـام كـل من يتواضع لهم .

أنَّ الطيِّب هو الذي يرى نفسه « أقلَّ » من أخوانه ، أو يعترف بتساويه مع الآخرين .

يقول الله تعالى :

﴿ ولا تصعّر خدَّك للناس ولا تمشي في الأرض مرحاً ان الله لا يحب كل مخال فخور ﴾ .

فـما دام الإنسان لا يستـطيع أن يخـرق الأرض ـ هذه التي يدوسها برجليه ـ ولا أن يطاول الجبال التي يفتّتها ، فانّ عليه أن يتواضع ، وإلاَّ لكان مصيره كما قال الله :

﴿ أُدخلوا أبـواب جهنم خالـدين فيهـا فبئس مثـوى المتكبرين ﴾ .

يقول السيد المسيح :

« كـما أن الـزرع ينبت في السهـل ولا ينبت عـلى الصفـاء ، كذلـك الحكمة تعمـر في قلب المتـواضـع ولا تعمـر في قلب المتكبر ، ألا تـرون أن من يتشمخ بـرأسه

إلى السقف يشجُّه ، ومن يُطأطأ له يُظلّه ؟ » .

يقول الرسول الأعظم :

« ان التواضع لا يزيد العبد إلاّ رفعةً فتواضعوا يرحمكم الله » .

ويقول : « إذا رأيتم المتواضعين من اُمتي فتواضعوا لهم ، وإذا رأيتم المتكبرين فتكبروا عليهم » .

تاسعاً ـ الحسد .

هناك صفتان متقاربتان أحداهما : جيدةً جداً والثانية سيئة جداً . التحاسد ، والتنافس فالتحاسد تأكل اللذات ، بينما التنافس تزيد من فاعليته . .

والتحاسد تعني : السعي من أجل إزاحة ما على الآخرين من النعم .

بينما التنافس تعني : السعي من أجل إمتلاك ما يمتلكه الآخرون . .

وبمقدار ما يكون التحاسد مذموماً ، يكون التنافس النزيه مطلوباً . .

أن أكثر الناس يتصرَّفون بدافع من التنافس فالطالب

الذي يجد لنيل الشهادة ، لم يكن يفعل ذلك لولا ما يراه من إخوانه ، وأقرانه ، وكذلك التاجر ، والملاّك ، وحتى العالم .

فالتنافس في العلم والنبل والطيب مطلوب ولكن بشرط أن لا يتحوَّل إلى تحاسد ، لأنَّ التحاسد يؤدي بكل طرف إلى العمل من أجل سحق الآخر . . وهذا ما يخرّب البلاد والعباد .

يقول الرسول الأعظم (صلى الله عليه وآله وسلم) :

« الحسد يأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب »

والحسود ، يأكل نفسه ، ويهشم أعصابه ، وبذلك يقضي على كفاءاته قبل أن يقضي على منافسه .

يقول الإمام الصادق (عليه السلام) :

« الحاسد مضرٌّ بنفسه قبل أن يكون مضراً بالمحسود » .

عاشراً ـ عدم الطاعة .

بعض الناس « ليّنون » يطيعون الموجّهين الرّساليين . وبعضهم « متمردون » يحاولون في كل وقت أن يثبتوا

تفوُّقهم عن طريق التمرُّد فهم لا يتآلفون ، ومن ثم فلا يتأتى للموجّه هدايتهم إلى الطريق المستقيم . .

وعدم الطاعة : قد ينشأ من عقدة في ذات الشخص ، فهو يعاني من « مركَّب النقص » مثلاً ، ويحاول أن يثأر لها بالتعالي ، والتكبر ، وعدم الطاعة .

إنَّ هؤلاء يخسرون الكثير بتمردهم ، لأنَّ الموجِّهين ربما ملُّو طبائعهم ، وتركوهم إلى أناس آخرين ليقوموا بتربيتهم بدلاً عنهم .

يقول الله تعالى :

﴿ أطيعوا الله وأطيعوا الرَّسول ﴾ .



كيف يريدنا الاسلام ؟



كيف يريدنا الإسلام ؟

للأجابة على ذلك لابدَّ أن نعود إلى مصادره الأصيلة ، لنستعرض بشكل خاطف ، البنود السلوكية التي نؤكّد انَّه لا يوجد لها مثيل في أيٍّ دين ، أو أيديولوجية ، سواء السماوية منها أم البشرية . .

وإليكم فيما يلي نصوص من ذلك . .

* إياكم والحسد ، فانَّ الحسد يأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب . . !

* إيَّاكم والطمع ، فانَّه هو الفقر الحاضر . .

* إياكم والكِبْر ، فان ابليس حمله الكبر على أن لا يسجد لآدم ، وإياكم والحرص ، فان آدم حمله الحرص على أن يأكل من الشجرة ، وإياكم والحسد ، فان ابني

آدم إنّما قتل أحدهما صاحبه حسداً فهنَّ أصل كل خطيئة . !

* إياكم والكذب ، فان الكذب لا يصلح لا بالجدّ ولا بالهزل ، ولا يعد الرّجل صبيّه لا يفي له ، وان الكذب يهدي إلى الفجور ، وان الفجور يهدي إلى النار . وان الصدق يهدي الى البرّ ، وان البر يهدي إلى الجنة . . !

* إياك والتسويف بأَمَلكْ ، فانَّك ليومك ، ولست لما بعد ، فان يك غدٌ لك فكن في الغد كما كنت في اليوم . وان لم يكن غدٌ لك لم تندم على ما فرَّطت في اليوم . . !

* إياك وخصلتين : الضجر والكسل ، فانَّك إن ضجرت لم تصبر على حق ، وان كسلتَ لم تؤد حقاً . . !

* إياك وقرين السوء فانك به تُعرف . . !

* أيُّها الناس : ان ربكم واحد ، وان أباكم واحد ، كلكم لآدم ، وآدم من تراب ، ان اكرمكم عند الله أتقاكم . لا فضل لعربي على عجميّ إلاَّ بالتقوى . . !

* ان الناس إذا رأو الظالم فلم يأخذوا على يديه ،

أوشك أن يعمهم الله بعقاب منه . . !

* ان من موجبات المغفرة بذل السلام ، وحسن الكلام . . !

* ان من موجبات المغفرة إدخال السرور على أخيك المؤمن . . !

* ان من أكمل المؤمنين إيماناً أحسنهم خلقاً ، وألطفهم بأهله . . !

* ان من أعظم الخطايا ، من اقتطع مال امريء مسلم بغير حق ، وان من الحسنات ، عيادة المريض . . !

* ان المتحابين في الله في ظل العرش . . !

* ان المؤمن ليدرك بحسن الخلق درجة القائم الصائم . . !

* عاتب أخاك بالإحسان إليه . وأردد شرَّه بالإنعام عليه . . !

* احصد الشرَّ من صدر غيرك بقلعه من صدرك . . !

* بالتواضع تتم النعمة . وبالسيرة العادلة يقهر المناويء . . !

* افعلوا الخير ولا تحقروا منه شيئاً ، فانَّ صغيره كبير وقليله كثيرٍ ، ولا يقولن أحدكم : أن أحداً أوْلى بفعل الخير مني ، فانه يكون ـ والله ـ كذلك . ان للخير أهلاً . وان للشر أهلاً فمهما تركتموه منهما كفاكموه أهله . . !

* لا تكن وليَّ الله في العلانية ، وعدوَّ الله في السرَّ . . !

* أكبر العيب : أن تعيب ما فيه مثلك . . !

* بئس الزاد الى المعاد : العدوان على المعاد . . !

* ملعون ملعون من وضع كلّه على الناس . . !

* بئس العبد عبد يكون ذا وجهين وذا لسانين يُطري أخاه شاهداً ويأكله غائباً ، ان أُعطي (أخوه) حسده ، وان ابتلى خذله . . !

* من آذى جاره حرَّم الله عليه ريح الجنة ، ومن ضيَّع حق جاره فليس منَّا . . !

* ان الله يحب معالي الأمور وأشرافها ، ويكره سفاسفها . . !

* ان الله ليسأل العبد عن جاهه (المكانة الإجتماعية) كما يسأل عن ماله وعمره ، فيقول :

جعلت لك جاهاً ، فهل نصرت به مظلوماً ؟ أو قمعت به ظالماً ؟ أو أعنت به مكروباً ؟ . . !

* ان الله يحب البصر الناقد ، النافذ عند مجيء الشهوات ، والكامل عند نزول الشبهات ، يحبّ السماحة ولو على تمرة ، ويحبّ الشجاعة ولو على قتل حيَّة . . !

* ان الله عز وجل احب الكذب في الصلاح ، وأبغض الصدق في الفساد . . !

* ان الله تعالى يحب إذا عمل أحدكم عملاً أن يتقنه . . !

* ان الله تعالى ليبغض المؤمن الضعيف الذي لا دين له . .

قيل : من المؤمن الذي لا دين له ؟

فأجاب : « الذي لا ينهى عن المنكر » . . !

* ان الله تعالى يعذِّب يوم القيامة الذين يعذبون في الدنيا . . !

* ان الله تعالى يحب من عبده إذا خرج إلى اخوانه أن يتهيأ لهم ويتجمَّل . . !

* ان الله تعالى يبغض الوسخ والشعث . . !

* ان الله تعـالى يبغض البخيل في حيـاتـه ، السخيّ عند موته . . !

* ان الله تعـالى يحب أن تعدلـوا بين أولادكم ، حتى في القُبل . . !

* ان الله تعالى يبغض المعبِّس في وجوه اخوانه . . !

* ان الله لا يقـدس أُمَّـة لا يعــطون الضعيف منهم حقّه . . !

* ان الله تعالى رفيق ، يحبّ الرفق ، ويعطي عليه ما لا يُعطي على العنف . . !

* الإسلام نظيف ، فتنظَّفوا ، فـانَّه لا يـدخل الجنَّـة إلَّا نظيف . . !

* أشـد الناس عـذاباً يـوم القيامـة : عـالم لا ينفعـه علمه . . !

* أذلْ الناس من أهان الناس . . !

* إذا كان إثنان يتناجيان فلا تدخل بينهما . . !

* ان يـومك ضيفـك ، وهو مـرتحـل . . يحمـدك أو يذمَّك . . !

وهـذه الأحاديث التي تتعـرَّض لكـل صغيـرة وكبيـرة فتـذكر حتى مثـل مناجـاة نفرين ، والـوسـخ ، وعتـاب

الأخ ، إنَّما تهدف بناء الإنسان في كل جوانبه ، بحيث لا تبقى هناك ثغرة واحدة يمكن أن يدخل منها الشيطان ، أو ينحرف به المنحرفون .

وما ذكرناه هو واحد من المليون ، من الروايات التي تتحدث عن الجوانب السلوكية في الإنسان وهي بهذا العمق والشمول خاص بالإسلام ، ولا نجد لها مثيلاً إطلاقاً في أيِّ دين . .



إعتذار . .

اللَّهم . . إني أعتذر إليك من مظلوم ظُلم بحضرتي فلم أنصره . ومن معروف أُسدى إليَّ فلم أشكره . ومن سيء إعتذر إليَّ فلم أعذره . ومن ذي فاقة سئلني فلم أؤثره . ومن حق ذي حق لزمني فلم أوفّره . ومن عيب مؤمن ظهر لي فلم أستره . ومن كل إثم عرض لي فلم أهجره . !

اللَّهم . . أعتذر إليك منهن ومن نظائرهن ، إعتذار ندامة يكون واعظاً لما بين يديَّ من أشباههن . !

الصحيفة السجادية

فهرست

الموضوع	الصفحة